شَرْحُ

اعتقاد

سفيان بن سعيد الثوري

لِمعَالِي الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

سليمان الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

المجلس (١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

ثُمَّ أَمَّا بعد؛

فمرحبًا بطلاب العِلم، مرحبًا بمَن يحبهم القلب وتُسر بهم النفس، وإن الأُمَّة لا تزال بخير ما اجتمع أبنائها على طلب العِلم، كنا أَيُّهَا الإخوة قد ختمنا المجلس السابق بثلاث وصايا ذهبية بعلماء من أكابر علماء الأُمَّة الإسلامية، وطلب مني الأخ مُحَمَّد أن أعيد وصية شيخنا ووالدنا ومربينا الشيخ: عبيد الجابري رَحِمَهُ اللَّهُ، فنعيد ما ذكره الشيخ، حيث أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أملى وصيةً وسجلها إِلَىٰ إخوانه في كل مكانٍ يكون فيه المسلمون.

فَقَالَ في وصيته: يجب عليكم أبنائي وأخواني أن تكون صدوركم منشرحةٍ للحق، مستقبلةً للنصيحة.

يقول الشيخ: فإذا أخطأ أحدنا نظرنا إن أمكن إصلاحه فيما بيننا أصلحناه؛ أي: إن أمكن أن نكتمه فيما بيني وبينك وأن نُصلِحه فيما بيننا أصلحناه، وَهٰذَا هو المتعين.

قَالَ: وَهٰذَا خيرٌ وأفضل، فمَن أراد أن يجد أخًا له في الله سليمًا من الخطأ، فَهٰذَا يفرض المُحال ويسبح في خيال، واحزركم من نَزغِ الشيطان فاتقوا الله وتدارسوا العِلم الشرعي حسب ما أُتيح لكم من الدولة، ولا تصدموا بأحد، وإذا زار مسجدكم رجلٌ إخوانيٌ وليس عندكم سلطة تمنعونه، فالواجب: الرد العلمي الَّذِي ليس فيه طعنٌ ولا سبٌ، ولا شتم.

فإن المُنصِف إِذَا سمع هٰذَا الرد إن كان فيه خيرٌ قبِل، وإن لم يكن فيه خيرٌ قامت عليه الحُجة، وحيل بينه وبين الأُمَّة كي لا يُفسِد ذات البين فيها، ثُمَّ أَيُّهَا الإخوة: إن مجالسنا في شرح عقيدة الإمام سفيان الثوري، **فعندنا أمران:**

➢ **الأمر الْأَوَّلُ:** التَّعْرِيْف بالعقيدة.

➢ **والأمر الثَّانِي:** التَّعْرِيْف بالإمام سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَمَّا التَّعْرِيْف بالعقيدة: فالعقيدة في لغة العرب من مادة: عقد، وتدور معانيها عَلَىٰ الربط، والشد، والملازمة، والتأفيك، يُقال: عقد قلبه عَلَىٰ كذا؛ أي: لازمه وشد قلبه عليه.

❍ **وَأَمَّا العقيدة في اصطلاح علمائنا فنُعرِّفها باعتبارين:**

✓ **الاعتبار الأول:** باعتبار حقيقتها، فالعقيدة باعتبار حقيقتها هي: التصديق الجازم بما يجب لله عَزَّ وَجَلَّ من توحيده، والإيمان بالنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مِمَّا يجب الإيمان به.

التصديق الجازم وسأشرحه بعد قليل إِنْ شَاءَ اللهُ بما يجب لله عَزَّ وَجَلَّ من توحيده؛ يعني: بتوحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، والإيمان بالنبوات وما يتعلق بها، وأمور المعاد؛ اليوم الآخر، وغيرها مِمَّا يجب الإيمان به مِمَّا يُفصل في العقيدة، فَهٰذِه حقيقة العقيدة.

وَأَمَّا تَعْرِيْف العقيدة باعتبار أنها عِلمًا؛ يعني عندما نقول: عِلم العقيدة، ما هو عِلم العقيدة؟ **فهو:** العِلم بما يجب التصديق به من توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ والنبوات والميعاد وغيرها مِمَّا يجب الإيمان به.

➥ **ما هو علم العقيدة؟**

العِلم بما يجب التصديق به من توحيد الله؛ وَهٰذَا حق الله عَزَّ وَجَلَّ، والنبوات؛ وَهٰذَا حق الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ وعَلَىٰ رأسهم: نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمور الميعاد: اليوم الآخر، وغيرها مِمَّا يجب الإيمان به مِمَّا يُفسر في العقيدة، فَهٰذَا معنى عِلم العقيدة.

والعقيدة أَيُّهَا الإخوة يكون تحقيقها عَلَىٰ ركنين، مَن فهمها وعلمها فهِم العقيدة، وسُهل عليه أن يحقق العقيدة.

☜ **الركن الْأَوَّلُ:** تصديق الخبر فيما يجب الإيمان به.

فالمسلم يصدِق كل خبرٍ ورد في الكتاب وَالسُّنَّة الصحيحة تصديقًا جازمًا لا يخالطه شك، فالتصديق في الأخبار يا إخوة مراتب لا يصلُح منها في خبر الله وفي خبر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مرتبة واحدة، مَن أتى بها أتى باليقين، ومَن لم يأتي بها وقع في الضلال.

ما هي مراتب تصديق الخبر؟

❶ **المرتبة الْأُولَى:** أن يكون التصديق قليلًا في القلب، والأغلب التكذيب، فَهٰذَا يسمى: وهمًا.

يعني: لو أخبرتني بخبر، أَوْ أخبرك أخوك بخبر فَقَالَ لك مثلًا: الشيخ سليمان الرحيلي وصل فصدقته بنسبة ١٠٪ والأغلب في ظنك: أنه كاذب، هٰذَا يسمى: وهمًا، هل يصلح هٰذَا بخبر الله؟ يقينًا لا يصلِح، هل يصلح بخبر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ يقينًا لا يصلِح.

❷ **المرتبة الْثَّانِية:** أن يستوي التصديق والتكذيب بنِسب متساوية؛ يعني: احتمال الصِّدْق عندك يساوي احتمال الكذِب، وَهٰذَا يسمى: شكًا، وَهٰذَا أيضًا: لا يصلُح في خبر الله تَعَالَىٰ، ولا يصلُح في خبر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❸ **المرتبة الْثَّالِثة:** أن يكون التصديق أكثر من التكذيب؛ يكون التصديق أكثر والتكذيب أقل، وَهٰذَا ظنٌ لكن فيه احتمال الكذِب، وَهٰذَا أيضًا لا يصلُح في خبر الله ولا في خبر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❹ **المرتبة الرابعة:** أن يمتلئ القلب بِالصِّدْقِ، ما فيه احتمال، ولا فيه شك، وَهٰذَا هو اليقين الَّذِي قَالَ فيه ابن مسعود: **"اليقين الإيمان كله"**، وَهٰذَا هو الَّذِي يصلُح في خبر الله عَزَّ وَجَلَّ وفي خبر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تصح عقيدتك حَتَّىٰ تُصدِق بالخبر في الكتاب وَالسُّنَّة، يمتلئ قلبك بالصِدق.

ثُمَّ يتفاوت الناس في هٰذَا اليقين، فبعض الناس عنده عِلم اليقين، وبعض الناس يرتفع يقينه فيطمئن قلبه كأنه يراه فَهٰذَا: عين اليقين، وبعض الناس يرتفع عنده اليقين فَهٰذَا هو: حق اليقين، فَهٰذِه هي المرتبة الْأُولَى وسأضرب لكم مثالًا يوضحها لكم.

فمثلًا قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فتحقيق العقيدة هنا: أن تصدق تصديقًا جازمًا تامًا لا يخالطه شك أنه لا معبود بحقٍ إِلَّا الله، وأن كل معبودٍ سوى الله فهو معبودٌ بباطل، وأن تبرأ إِلَىٰ الله من كل معبودٍ سوى الله، هٰذَا تصديق الخبر هنا.

أيضًا مثلًا: دلت النصوص عَلَىٰ نعيم القبر، وعذاب القبر، فتحقيق العقيدة هنا: أن تصدِق تصديقًا جازمًا لا شك فيه أن صاحب القبر إِمَّا مُنعَم وَإِمَّا مُعذب، فإذا وقفت عَلَىٰ قبرٍ تجزم أن صاحبه إِمَّا في نعيم، وَإِمَّا في عذاب، فلا شك عندك، فالقلب مليء بتصديق رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يلتفت إِلَىٰ كلام

المتكلمين، ولا آراء المتعالمين، تصديق الخبر تصديقًا جازمًا، فَهذَا أول رُكن في تحقيق العقيدة.

☜ **الركن الثَّانِي لتحقيق العقيدة:** الانقياد لما في الخبر.

بمعني: أن تعمل بما في الخبر في كل كبيرٍ وصغير، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، صدقت بهذا وامتلئ قلبك بهذا لَا بُدَّ من أن تنقاد، فلا تعبد إِلَّا الله، فدعائك لله، صلاتك لله، حجُك لله، نذرُك لله، ذبحك لله، أَمَّا الَّذِي يأتي ويقرأ القرآن ويعلم أنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قد يكون حافظًا للقرآن والقرآن كله توحيد، لكن إِذَا اصابته مصيبة قَالَ: يا سيدي فلان، ما يقول يا الله.

إِذَا جاءت السيارة تنقلب ووقع حادِث بدل من أن يقول: يا رب، يقول: يا أولياء، هٰذَا ما حقق العقيدة؛ لأنه ما انقاد للخبر، إِذًا مَتَى تكون صاحب عقيدة مُحققًا للعقيدة؟ إِذَا جمعت بين الأمرين: فصدقت الخبر وانتقدت لما في الخبر.

✪ **وأصول عقيدة السلف الَّتِي نقوم عليها عقيدتهم أصولٌ كليةٌ سبعة:**

✍ **الأصل الْأَوَّلُ:** تلقي العقيدة من الكتاب وَالسُّنَّة، وما أجمع عليه سلف الأُمَّة، فمصادر التَّلَقِّي للعقيدة: الكتاب وَالسُّنَّة، وما أجمع عليه سلف الأُمَّة.

فعقيدة السَلَفيين عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، عقيدة أهل الحق في كل زمان تُتلقى من الكتاب وَالسُّنَّة وإجماع السَلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم.

✍ **الأصل الثَّانِي:** الاحتجاج بِالسُّنَّةِ الصحيحة في العقيدة سواءٌ كانت متواترة أَوْ آحادًا.

بمعنى آخر: عدم التفريق بين كلام رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل ما صح عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخِذت منه العقيدة.

✍ **الأصل الثَّالِث:** تقديم النقل عَلَىٰ العقل، ورد العقل إِلَىٰ النقل.

فأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يُقدمون النقل ويعلمون: أن العقل السليم لا يُخالِف النقل الصحيح، ويردون العقل إِلَىٰ النقل ويُصلِحون خطأ العقل بصحيح النقل، والجامع لهذا: أنهم يقدمون النقل؛ أي: الكتاب وَالسُّنَّة وإجماع السَلَف إن ظهرت مخالفة.

✍ **الأصل الرَّابِع:** عدم الخوض في المنطق وعلم الكلام، فلا يُدخِلون المنطق وعلم الكلام في العقيدة، وَإِنَّمَا الأمر -كَمَا تَقَدَّمَ-: أنهم يبنون عقيدتهم عَلَىٰ الكتاب وَالسُّنَّة وإجماع السَلَف.

✍ **الأصل الخَامِس:** رفض التأويل الباطل؛ وهو: حمل الكلام عَلَىٰ غير ظاهره بلا دليل، ويسمونه: تأويلًا.

مثلًا عندما قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، استوى كما يفهمه العرب وفهمه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهمه صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنى: علا وارتفع، جاء بعض الناس فقالوا معنى استوى: استولى، فأولوا الكلام عن ظاهره وحملوه عَلَىٰ غير ظاهره بلا دليل، فَهٰذَا تأويلٌ باطل.

ومن أصول عقيدة السَلَف: رفض ودفع التأويل الباطل وحمل الكلام عَلَىٰ ظاهره، عَلَىٰ ما يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

✍ **الأصل السَّادِس:** الجمع بين النصوص في الباب الواحد.

فأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يجمعون النَّصّوص في الباب الواحد فيرون الحق كله، لا ينظرون من جهةٍ واحدة فلا يرون كل الحق، وَإِنَّمَا ينظرون من جميع الجهات، ولذلك سيأتينا من مسائل الإيمان: أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة نظروا إِلَىٰ نصوص الوعد ونصوص الوعيد، فقالوا: إن مُرتكِب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ولا يرقى إيمانه كما كان، بل ينقُص إيمانه إِذَا ارتكب الكبيرة وتُخشى عليه عقوبة الله.

أَمَّا المُرجئة فنظروا إِلَىٰ نصوص الوعد وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذاك، وَأَمَّا الوعيدية فنظروا إِلَىٰ نصوص الوعيد وقالوا: مرتكب الكبيرة مُخلد في النَّار يوم القيامة، وسيأتي الكلام عن هٰذِه المسألة إِنْ شَاءَ اللهُ.

✍ **والأصل السَّابِع:** رد المتشابه من النصوص إِلَىٰ المُحكَم، وعدم رد المُحكَم بالمتشابه.

رد المتشابه من النصوص الَّذِي قد يحتمل معنيين أَوْ نحو ذلك إِلَىٰ المُحكَم من النصوص، فيفسرون المتشابه: بالمُحكَم، ولا يردون المُحكَم بالمتشابه كما يفعل المبتدعة من الخوارج ونحوهم، المُكفِرة الَّذِينَ يُكفِرون الناس اليوم يردون محكمات الشريعة في عدم التكفير وعدم الاعتداء في التكفير بنصوصٍ متشابهة، وَهٰذَا يخالف أصل أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في العقيدة.

انتبهوا لهٰذِه الأصول السبعة يا إخوة فإن مَن جمعها كان عَلَىٰ عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، ومَن خالف في واحدٍ منها لم تكن عقيدته عَلَىٰ عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، فَهٰذِه أصولٌ فارقة ومميزة بين صف أهل السُّنَّة

وَالْجَمَاعَة وبين صف أهل الأهواء والبِدع، فمَن لزمها وضبطها كان في صف أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، ومَن خالف في واحدٍ منها كان في صف أهل الأهواء والبِدع.

وعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيها الهداية والأمان، كما عنونا لهذِه الدورة، عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيها الهداية كلها، وفيها الأمان كله، أَمَّا الهداية فلأنها مبينة عَلَىٰ الكتاب وَالسُّنَّة، ولا هداية إِلَّا بما في الكتاب وَالسُّنَّة، الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

وَالنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «خلَّفْتُ فيكم شيئَيْنِ لن تَضِلُّوا بعدَهما أبدًا: كتابَ اللهِ، وسُنَّتي» رواه الحاكم وغيره وصححه الألباني، فالهداية في كتاب الله وبسُنة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَكَّ أن أغلب المسلمين يدعون: أنهم يرجعون إِلَىٰ الكتاب وَالسُّنَّة مع ما نراه من اختلافٍ بينهم في العقيدة، فهل كلهم عَلَىٰ هداية، لعلنا نُجيب عَلَىٰ هٰذَا بعد صلاة المغرب إِنْ شَاءَ اللهُ.

المجلس (٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالِمينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

ثُمَّ أَمَّا بعد؛

فمعاشر الإخوة الفُضلاء قلنا في أخر مجلسنا السابق: إن عقدية أهل السُّنَّة وَالجَمَاعَة هدايةٌ وأمان.

فعقيدة أهل السُّنَّة وَالجَمَاعَة فيها الهداية كلها؛ لأنها مبنيةٌ عَلَىٰ كتاب الله وعَلَىٰ سنة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّمَسُّك بكتاب الله وبسنة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنوان الفور والهداية.

وقد سألنا سؤالًا عريضًا في أخر المجلس وهو: أن أغلب المسلمين يرون أنهم يرجعون إِلَىٰ الكتاب وَالسُّنَّة.

فهل يعني هذَا: أن أغلب المسلمين عَلَى هداية مع اختلاف عقائدهم؟

والجواب: أنه لا شك أن أغلب المسلمين يدعون الرجوع إِلَىٰ الكتاب وَالسُّنَّة، لكن هٰذِه دعوة والدعوة لَا بُدَّ لها من بُرهانٍ يصدقها، والبرهان هو: الالتزام بفهم سلف الأُمَّة، وَهٰذَا هو الأصل الفارق بين الحق والباطل في فهم القرآن وَالسُّنَّة؛ الرجوع إِلَىٰ فهم سلف الأُمَّة.

فإن عدم الرجوع إِلَىٰ فهم سلف الأُمَّة فيه مخالفةٌ للكتاب وَالسُّنَّة، كما قَالَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

"وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ"؛ أي: يكون هو في شِق، والرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شقٍ آخر، ويدخل في هٰذَا يا إخوة الَّذِينَ يقولون: لا نأخذ بخبر الآحاد في العقيدة فإن لهم نصيبًا من هٰذَا.

"وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ"؛ أي: ويتبع غير طريق المؤمنين، مَن هم المؤمنون عند نزول هٰذِه الآية؟ هم صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الميزان

للمؤمنين، فمَن يتبع غير طريق صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه في طريق الضلالة فنوليه ما تولى، وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

✍ إذًا الَّذِي عَلَى الطريق الصحيح هو: الَّذِي يتبع سبيل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسلُك سبيل المؤمنين، فَلَا بُدَّ من هذَا البرهان.

وعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيها الأمن للمسلمين، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

"**الَّذِينَ آمَنُوا**"؛ أي: وحدوا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

"**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**"؛ أي: لم يخلفوا إيمانهم بشرك، فما جزائهم؟ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ، الأمن في الدنيا بطمأنينة القلوب وقوتها بالله عَزَّ وَجَلَّ، والأمن التام يوم القيامة وهم مهتدون، وَهذِه الآية تدل عَلَىٰ: أن عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيها الهداية، وفيها الأمن للمسلمين، وعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيها الأمن لغير المسلمين؛ لأن عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

عقيدة السَلَف توجب كما قدمنا: العدل عَلَىٰ كل أحد وتُحرِم الظلم، وتُحرِم الاعتداء عَلَىٰ الأنفُس المعصومة بالإيمان أَوْ الأمان، وتوجب الوفاء بالعهود، بل توجب لمَن عاهده المسلمون أَوْ عاهد المسلمين من غير المسلمين: أن يُحفَظ له ماله، وعِرضه، ونفسه، فيجب عَلَىٰ المسلمين: حماية من عاهدهم، أَوْ عاهدوه، ومَن كان عارفًا بعقيدة السَلَف فإنه لن يستجيب للخوارج أبدًا، ولن يسلُك نفسه في سبيل المجرمين بعد أن هداه الله إِلَىٰ سبيل المؤمنين.

هذَا ما يتعلق بِالتَّعْرِيْفِ بالعقيدة باختصار، وقد أردت أن أذكر لكم فوائد كلية تنفعكم في باب العقيدة، فأنا أولًا احترم هذِه الفرصة لأوصي إخواني بكثرة القراءة في سيرة السَلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، فإن عندنا تقصيرًا في هذَا الباب، بعض المسلمين يعرف عن لاعبي الكرة أكثر مِمَّا يعرف عن علماء المسلمين.

وكثيرٌ من طلاب العِلم يعرف نُسخًا عن بعض العلماء المعاصرين، أَمَّا العلماء المتقدمون فلا يكاد يعرف أسمائهم، ونحن بحاجة لأن نقرأ سير السَلَف لنتأدب بأدبهم، والله إن في سير السَلَف أدبًا عظيمًا لو

تعلمناه لسلِمنا من كثيرٍ من الشروط، فإنا أوصي نفسي وإخواني بأن نجعل لنا نصيبًا في القراءة من قراءة سير السَلَف.

وأوصي بكتاب: **(سير أعلام النُبلاء)** للإمام الذهبي، فهو كنز فوائد؛ مليء بالفوائد لطالب العِلم، فلو أنك جعلت لنفسك نصيبًا من القراءة ولو عند النوم، تأخذ كتاب السير وتقرأ فيه فإن في هٰذَا خيرًا عظيمًا.

✓ **وأما عن تعريف سفيان الثوري فهو:** أبو عبد الله؛ سفيان ابن سعيدٍ الثوري، وُلِد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة سبعٍ وتسعين من الهجرة (٩٧) هـ؛ أي: في آخر القرن المُفضل اَلْأَوَّلُ، ونشأ في القرن الْثَّانِي من القرون المفضلة، فكانت ولادته في القرن اَلْأَوَّلُ الَّذِي هو: أفضل القرون عَلَىٰ الإطلاق، وكانت نشأته وحياته في القرن الْثَّانِي من القرون المفضلة، كان آية من آيات الله في الحفظ، يُقال: إنه ما سمع شيئًا إِلَّا حفِظه، وما احتاج أن يعيد عليه أحدٌ كلامه.

رزقه الله حفظًا عجيبًا، حَتَّىٰ أن الَّذِينَ ترجموا له ذكروا شيئًا عجيبًا في ترجمته وهو: أنه كان إِذَا مر بأسواق يضع أصبعيه في أذنيه، لماذا؟ حَتَّىٰ لا يسمع نداء أهل الأسواق فيحتضر، تعرفون أهل السوق ينادوه، فهو يحفظ فكان إِذَا مر بالسوق حَتَّىٰ لا يسمع كلامهم وأشعارهم ومناداتهم فيحفظها فكان يضع أصبعيه في أذنيه حَتَّىٰ يمر من السوق.

وقد رسم لنفسه ثُمَّ لتلاميذه من بعده طريقًا عظيمًا في العِلم، فَقَالَ: تعلموا العِلم؛ أي: اطلبوه وافهموه، ثُمَّ إِذَا تعلمتموه فأحفظوه، والحفظ كما يقول العلماء: حفظ صدورٍ، وحفظ سطور؛ يعني: حاول أن تحفظ العِلم بالأمرين بالسطور: بأن تكتب، وبالصدور: أن تحفظ، فإذا حفظتموه فاعملوا به، العِلم ليس أمرًا نتدين به، لا وَإِنَّمَا العِلم الَّذِي يزكي النفوس.

ولذلك تجد أن بعض الناس يعلم شيئًا قليلًا لكنه في الحقيقة أعلم ممَن يعلم الكثير؛ لأن ذات عِلم القليل وعمِل به، وذاك ربما تعمم وتدكتر وأصبح يُقال له: الدكتور وهو لا يعمل بعِلمه، فالعِلم هو الَّذِي يزكي النفوس بالعمل، فإذا حفظتموه فاعملوا به، ثُمَّ إِذَا عمِلتم به فانشروه بين الناس، هٰذَا الطريق الصحيح للعلم، كان يسير عليه وعلم طلابه هٰذَا الطريق العظيم.

وكان الإمام سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ من العلماء الَّذِينَ جمعوا العِلم من أطرافه؛ فكان عالمًا بالحديث روايةً ودراية، وكان فقيهًا، وكان من العلماء العاملين، وكان معظِمًا لأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وكان يوصي بهم ويقول: إنهم الغرباء، ويوصي مَن سمع برجلٍ من أهل السُّنَّة في المشرق أَوْ المغرب أن يدعوا له.

فكان من أهل السُّنَّة، وكان محبًا لأهل السُّنَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان معظِمًا للأثر حَتَّىٰ أنه قَالَ: لا ينبغي لأحدٍ أن يحُك رأسه إِلَّا بأثر، وذلك لتعظيمه للأثار رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رحمةً واسعة، وعقيدة سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ الَّتِي سنتناولها بشيءٍ من الشرح: عقيدةٌ قصيرة، لكن سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ لسعة عِلمه جمع فيها أصول العقيدة بالمثال، كما سأوقفكم عليه إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك هٰذِه العقيدة سهلٌ أن تحفظها، وإذا حفظتها عرفت بها أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بالعقيدة، وإذا فهمتها فإنه يسهُل عليك أن تفهم عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة عَلَىٰ وجه التفصيل، وقبل أن نشرع في قراءة نص العقيدة والتعليق عليه، فقد فاتني أن أنبه إِلَىٰ سنة وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، حيث توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة: (١٦١)؛ بمعني: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ عاش أربعة وستين (٦٤) عامًا.

❑ **قَالَ: سمعت شعيب بن حرب أنه قَالَ: قلت لأبي عبد الله سفيان بن سعيدٍ الثوري حدثني بحديثٍ من السُّنَّة ينفعني الله عَزَّ وَجَلَّ به، فإذا وقفت بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسألني عنه، فَقَالَ لي: من أين أخذت هٰذَا، قلت: يا رب حدثني بهذا الحديث سفيان الثوري، وأخذته عنه فأنجوا أنا وتؤاخذ أنت.**

هٰذِه العقيدة الَّتِي ذكرها اللالكائي في إسناده، وذكر طرفًا منها الذهبي في: (**سير أعلام النُبلاء**) أنبنت عَلَىٰ سؤالٍ من تلميذٍ نجيب وهو: شعيب بن حرب المدائني، تلميذ سفيان الثوري رَحِمَهُم اللَّهُ.

قَالَ: "**قلت لأبي عبد الله سفيان بن سعيدٍ الثوري حدثني بحديثٍ من السُّنَّة**"، السُّنَّة في لسان السَلَف تعني: العقيد؛ لأنها طريقة مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ولذلك تسمى: السُّنَّة؛ ولأنها تقوم عَلَىٰ أحاديث رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

"**حدثني بحديثٍ من السُّنَّة ينفعني الله عَزَّ وَجَلَّ به، فإذا وقفت بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسألني عنه**"؛ لأن الإنسان يا إخوة سيُسأل يوم القيامة عَلَىٰ علمه مَاذَا عمِل فيه؛ هل هو حق أَوْ باطل وماذا عمِل به، لن تزول قدم أحدنا من عند ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَتَّىٰ يسأله عن علمِه، ولذلك يا إخوة الأمر ليس سهلًا، فالعِلم شأنه عظيم، فلا ينبغي للإنسان أن يتساهل في أخذه.

وَإِنَّمَا العِلم الأخذ عن الثقة، عن مَن عُرِف بتعظيم الكتاب وَالسُّنَّة، وتعظيم ما عليه السَلَف، وإعطاء علماء السُّنَّة عَلَىٰ مر الأزمان حقهم وبيان فضلهم، أَيْضًا: لا يكون الإنسان جماءً بل يبحث عما ينفعه، ثُمَّ يحرص عَلَىٰ العمل.

ولذلك قَالَ: "**فإذا وقفت بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسألني عنه، فَقَالَ لي: من أين أخذت هٰذَا، قلت: يا رب حدثني بهذا الحديث سفيان الثوري، وأخذته عنه فأنجوا أنا وتؤاخذ أنت**"؛ أنجوا أنا لأني أخذت ثقةً، وتؤاخذ أنت بمعني: أنه قد يؤجر إن كان صوابًا، وقد يحمل وِزرًا إن كان خطأً، وليس هٰذَا المراد.

وَإِنَّمَا المراد: أن يذكر التلميذ شيخه بأن يقول له الحق الَّذِي ينجيه بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا التلميذ المُبارك، انظروا يا إخوة هٰذَا السؤال مَاذَا حصل منه؟ أملى سفيان هٰذِه العقيدة السلفية المختصرة وبقيت هٰذِه العقيدة نافعةً للمسلمين إِلَىٰ ا اليوم فانتفع سفيان بها؛ لأنه كلما قُرأت هٰذِه العقيدة أجرها لسفيان، وأنتفع التلميذ بها؛ لأن سفيان دله عَلَىٰ الحق، ثُمَّ كلما قُرِأت هٰذِه العقيدة كان لهذا التلميذ أجر.

ولذلك الشأن يا طالب العِلم: أن تحرص أن تبقي أثرًا طيبًا، كم من شخص سأل الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ سؤالًا وأضاف الشيخ في الجواب بما ينفع الله به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ربما هٰذَا السائل نحن لا نعرفه، سمعنا صوته لكننا لا نعرفه، لكن كم حصل من الأجر؟ حصل خيرًا كبيرًا.

ولذلك الموفق المُبارك من طلاب العِلم: مَن إِذَا وجد عالمًا استخلص منه خير ما عنده، بعض طلاب العِلم لا يعرف كيف يسأل، وربما سأل سؤالًا وصوره بصورة فلم يُثمِر خيرًا، ولذلك يا إخوة من الأدب: أن نكون من التلاميذ المُباركين، وإنك لا تدري عن سؤالك قد تصل به إِلَىٰ أعلى المراتب في الجَنَّة، فَهٰذَا من أدب طلب العِلم.

❑ **قَالَ:** فَقَالَ: يا شعيب هٰذَا توكيد وأيُ توكيد، اكتب بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فقَالَ: "**يا شعيب اكتب**"؛ أي: اكتب هٰذِه أصول السُّنَّة الَّتِي تنفعك ولا أخاف وزرها إِذَا لقيت الله بل أخاف برها، فإنها الخير الَّذِي يُرجع، فَهٰذَا توكيدٌ لسلامة هٰذِه الأصول، وأن مَن سار عليها لا يرجوا إِلَّا الخير عند لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: اكتب بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.**

قَالَ: اكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فبدأ الكتابة ببِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقتداءً بكتاب الله؛ لأن القرآن مبدوٌ ببِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصحيح: أن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّتِي في أوائل السور آيةٌ مستقلة؛ لأن الصحابة كتبوها بالقرآن، ومستقلة فليست من ذات السور، فالقرآن مبدوء ببِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

ولأن العلماء استقرئوا كتب النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدوها مبدوءةً ببِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذًا السُّنَّة في الكتب: أن تُبدأ ببِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، واستغنى الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بقوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عن الحمدلة؛ لأن هٰذِه الجملة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فيها ثناءٌ عَلَىٰ الله، وفيها ذِكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فكانت مغنيةٌ عن الحمدلة بعدها.

✓ **ومعنى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هنا:** ابدأ وصيتي متبركًا بسم الله، والله هو المألوه المعبود بمحبةٍ، وتعظيمٍ، وذِلةٍ، وخوفٍ، ورجاءٍ فَهٰذَا معنى الله.

"الرَّحْمَنِ"؛ الَّذِي له الرحمة الواسعة الحاصلة، فكل مخلوقات الله إِنَّمَا تعيش برحمة الله، لولا رَحِمَهُ اللَّهُ ما تحرك مُتحرِك، كل مخلوقات الله تعيش برحمة الله، فالله هو الرحمن ذو الرحمة الواسعة الحاصلة.

"الرَّحِيمِ"؛ أن الله ذو الرحمة الواصلة للمؤمنين، فالمؤمنون تصلهم الرحمة من جهتين: من جهة الرحمة الواسعة، ومن جهة الرحمة الخاصة بالمؤمنين، ولذلك يقول العلماء: الرحمن ذو الرحمة الحاصلة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة، والمؤمنون يحصُل لهم الأمران.

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: القرآن كلام الله غير مخلوط، منه بدأ وإليه يعود.**

بدأ الإمام سفيان الثوري هٰذِه الوصية العظيمة في هٰذِه المسألة الكبيرة، فلماذا بدأ بها الإمام سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ؟ نقول: لأن هٰذِه المسألة من أعظم مسائل الاعتقاد وأخبرها، وكان اعتناء السَلَف بها اعتناءً عظيمًا لا سيما بعد ظهور فتنة القول: بخلق القرآن، فكان يُبتلى بها العلماء، ويتميز بها مَن كان عَلَىٰ السُّنَّة ومَن خالف السُّنَّة، كانت تسمى: المُمحِصة؛ المُمحِصة يعني: المميزة.

إِذَا اختُبِر فيها العالِم فإجاب يتبين هل هو من أهل السُّنَّة أَوْ من غير أهل السُّنَّة، فكان العلماء يُختبرون بها، وَهٰذِه مسألة منهجية يا إخوة؛ وهي: أن الفِتن الكبرى الَّتِي تخالف السُّنَّة ويدعو إليها أهل البِدع،

ويعارضها علماء السُّنَّة يُختبر بها الناس، ويُبتلى بها الناس، ليتميز مَن هو عَلَىٰ السُّنَّة حقًا ممَن هو ناكِسٌ عنها، ممَن هو متحيرٌ مرتاب.

الناس في السُّنَّة: إمَّا عَلَىٰ السُّنَّة والجادة، وَإمَّا ناكسٌ عن السُّنَّة، وَإمَّا متحيرٌ مُرتاب ليس عنده يقين.

فإذا ظهرت فتنة في زماننا تخالف السُّنَّة ويدعوا إليها أهل البِدع، وقام علماء السُّنَّة فحاربوها يُختبر الإنسان بها، فيتميز مَن هو عَلَىٰ السُّنَّة ومع أهل السُّنَّة، ومَن هو مع أهل البِدع، ومَن هو متحيرٌ مُرتاب، مترددٌ مضطرب لا يقين عنده بِالسُّنَّةِ وأهلها.

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَن قَالَ غير هٰذَا فهو كافر.**

قَالَ: القرآن كلام الله، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم إِذَا شاء، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]، فدلت هٰذِه الآية: عَلَىٰ أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم إِذَا شاء، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]، وَهٰذَا يدل عَلَىٰ: أن الوحي كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]؛ فيكلم البشر من وراء حجاب كما كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]؛ أي: يكلمه الله فيرسله بكلامه.

أَيْضًا قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، كلم الله عَزَّ وَجَلَّ موسى تكليمًا وَهٰذَا تأكيدٌ للكلام، والغريب أن أهل البِدع بدلًا من أن يستفيدوا من القرآن ويرجعوا إِلَىٰ العقيدة الصحيحة يؤولون القرآن عَلَىٰ ما يوافق أهوائهم، فبعضهم مثلًا جاء إِلَىٰ هٰذِه الآية وقرئها كذا، وكلم الله موسى تكليمًا، فجعل المُكلِم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحرف بالقرآن ليوافق ذلك معتقده.

وبعضهم جاء إِلَىٰ هٰذِه الآية وَقَالَ: كلم هنا ليس من الكلام وَإِنَّمَا من الكلم وهو: الجرح، سُبْحَانَ اللَّهِ ما أسهل العقيدة وما أصعب تكلف أهل البِدع، لو أن أهل البِدع قالوا ما قاله الله ليرتاحوا، كلم الله موسى وَالحَمْدُ للهِ، هل هم أعلم بالله من الله، هٰذِه العقيدة أسهل من أن يأتي ويُحرِف القرآن أَوْ يحمله عَلَىٰ معاني بعيدة، والقرآن كلام الله، ليس القرآن كل كلام الله، وَإِنَّمَا القرآن من كلام الله.

الله عَزَّ وَجَلَّ تكلم بالتوراة، وتكلم بالإنجيل، والقرآن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو من كلام ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَلَا شَكَّ، الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وبالإجماع المقصود: القرآن، فدل ذلك عَلَىٰ: أن المسموع كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن هٰذَا هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَهٰذِه الجملة العظيمة في عقيدة السَلَف: القرآن كلام الله، تدفع كل كلام أهل البِدع في هٰذَا الباب، فالقرآن كلام الله ومُنزلٌ عند رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كلام الله حقيقةً شروطه ومعانيه، ليس الكلام الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، ولا هو عبارةٌ عن كلام الله، ولا هو مخلوقٌ خلقه الله في غيره وَإِنَّمَا هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما دل عليه الكتاب وَالسُّنَّة وأجمع عليه سلَف الأُمَّة.

أَيُّهَا الفضلاء لعلنا نقف هنا، ونُكمِل غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ ما يتعلق بعقيدة سفيان الثوري، ونقف مواقفٌ نافعات إِنْ شَاءَ اللهُ مع هٰذِه العقيدة النافعة، وبعد صلاة العشاء إِنْ شَاءَ اللهُ سيكون هناك لقاء مفتوح لن نطيل حَتَّىٰ لا نتعبكم، وسنجيب عَلَىٰ شيءٍ من الأسئلة الَّتِي أرسلتموها.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل هٰذَا الوقت الَّذِي جلستموه مِمَّا تُرفع به منزلتكم في الجَنَّة، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرضىٰ عني وعنكم في بهذا المجلس، وأن يكتبنا من عباده الَّذِينَ أعتقهم من الله، وكتبهم من أهل الجَنَّة، وأن يرفع منزلتنا في الجَنَّة، واللهُ أَعْلَمُ.

وصلى الله عَلَى نَبِيِّنَا وسلم.

المجلس (٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحَمْدُ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهديه الله فلا مُضِل له ومَن يُضلِل فلا هادي له، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بعد؛

أَيُّهَا الإخوة الكِرام بِسْمِ اللَّهِ نفتتح هٰذَا اليوم الثَّانِي من هٰذِه الدورة المباركة من دورات شيخنا الشيخ: سليمان الرحيلي حَفِظَهُ الله تَعَالَىٰ، وَالَّتِي تحت عنوان: عقيدة المسلمين هدايةٌ وأمان، في شرح عقيدة سفيان الإمام الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يبارك فيكم جميعًا وأن يُسدِد خُطاكم.

أَمَّا برنامج هٰذَا اليوم باختصارٍ شديد سيكون كالآتي: فبعد هٰذِه الصلاة صلاة العصر إِلَىٰ حدود السابعة إِلَّا ربع شرح عقيدة سفيان الإمام الثوري، وبعدها تكون استراحة لمدة عشرين دقيقة، ثُمَّ يستأنف شيخنا حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ محاضرته في شرح: عقيدة الإمام سفيان إِلَىٰ حدود قُبي المغرب بقليل، وبعد صلاة المغرب عودة إِلَىٰ شرح عقيدة سفيان إِلَىٰ أداء صلاة العشاء، وبعد أداء صلاة العشاء إِنْ شَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيُخصِص الشيخ وقتًا للإجابة عَلَىٰ أسئلة الإخوة الحاضرين.

إن الحَمْدُ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهديه الله فلا مُضِل له ومَن يُضلِل فلا هادي له، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بعد؛

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ، ثُمَّ أَيُّهَا الأفاضل السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فمرحبًا بطلاب العِلم، إن قلبي يمتلئ سرورًا وأنا أرى هٰذِه الوجوه المباركة قد اجتمعت في بيتٍ من بيوت الله تلتمس الحق، والخير، والهدى، وَالسُّنَّة، ترجوا رحمة الله وتخاف عذاب الله.

وقبل أن نشرع في شرح هٰذِه العقيدة المباركة؛ عقيدة الإمام سفيان الثوري، أحب أنت أتعذر من الإخوة أني لا أستطيع أن أُصافِح الجميع وأني لا أستطيع أن أجلس من الجميع؛ لأني أعلم أن إخواني جميعًا في قلوبهم ما في قلبي من حب مصافحتهم والجلوس معهم، ولكن الوقت ضيق، ولا نستطيع أن نفتح الباب لبعض الإخوة ونُغلِقه عن بعض الإخوة، فإن هٰذَا يؤلم قلبي قبل أن يؤلم قلوب الإخوة، ولا نستطيع أن نفي للجميع.

ولذلك فإني أعتذر عن عدم قدرتي عَلَىٰ مصافحة الإخوة والوقوف مع كل واحدٍ لسامع كلامه وسؤاله، ثُمَّ نواصل وقفاتنا مع عقيدة سفيان، وَهٰذِه العقيدة إِنَّمَا تُنسب إِلَىٰ سفيان لأنه هو الَّذِي أملاها، وَإِلَّا فَهٰذِه هي عقيدة السَلَف الَّتِي أجمع عليها الأئمة الكِبار من السَلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم.

❑ **قَالَ سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.**

هٰذِه المسألة قد تكلمنا عنها في أخر مجالسنا البارحة، ووقفنا عند قوله رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: غير مخلوق، فالقرآن كلام الله وكلام الله غير مخلوق، وعَلَىٰ هٰذَا أجمعت كلمة السَلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، قَالَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ والأمر: هو القرآن، ففرق الله عَزَّ وَجَلَّ بين: الخلق، والأمر.

فدل ذلك عَلَىٰ: أن القرآن غير مخلوق، والقول: بخلق القرآن باطلٌ في ذاته مخالفٌ لما في الكتاب وَالسُّنَّة ولما أجمع عليه خيار الأُمَّة، وهو كذلك باطلٌ للوازمه؛ لأنه تلزم عليه ومنه لوازم باطلة، فمما يلزم

منه: أن يكون كلام الله حادثًا؛ لأن كل مخلوقٍ حادث، فإذا قيل: إن كلام الله مخلوق فمعنى ذلك أنه حادث، وَهٰذَا لازمٌ باطل؛ لأن معناه: أن الله لم يكن متكلمًا ثُمَّ حدث له الكلام، وَهٰذَا لا يليق بجلال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كما يلزم منه: أن يهلك كلام الله؛ لأن كل مخلوقٍ هالك، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فإذا قلنا: إن كلام الله مخلوق يلزم من ذلك: أن كلام الله يهلك، وَهٰذَا لازمٌ باطل، فإن كلام الله لا يهلك ولا ينفذ، كما يلزم منه: أن يكون كلام الله ككلام الناس، فالكل مخلوق، وَهٰذَا لا يقول به مؤمن، إِذًا تحرر عندنا ما قاله السَلَف، القول بأن القرآن مخلوق: باطلٌ في ذاته، باطلٌ للوازمه.

قَالَ: **"منه بدأ وإليه يعود"**؛ أي: أن المتكلم به حقيقةً ابتداءً هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لم يتكلم به ابتداءً جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا تكلم به ابتداءً ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والسلف أخذوا هٰذِه الجملة من قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، ومن قوله سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢].

إِذًا قالوا: إن القرآن من الله بدأ، فالله هو الَّذِي تكلم به حقيقةً، وفي هٰذَا رد عَلَىٰ المُبتدِعة؛ رد عَلَىٰ الجهمية والمُعتزلة الَّذِينَ يقولون: إن الله خلق الكلام في غيره، ما معنى: خلق الكلام في غيره؟ يقولون مثلًا: خلق الكلام في الشجرة فابتدأ الكلام من الشجرة في تكليم موسى عليه السلام، فلم يكن ابتداء الكلام لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه لا، يقولون: من الشجرة سُبْحَانَ اللَّهِ.

وفيه ردٌ عَلَىٰ الأشاعرة الَّذِينَ يقولون: بالكلام النفسي، فيقولون: إن الَّذِي أحدث هٰذِه الألفاظ هو جبريل عليه السلام فابتدأت من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهٰذَا كله مخالفٌ للنصوص، ولكلام السَلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم.

"منه بدأ وإليه يعود" فما معنى إليه يعود؟

✪ **لها معنيان:**

❶ **المعنى الْأَوَّلُ:** أن القرآن سيُرفع من هٰذِه الأُمَّة في آخر الزمان، يُرفع من الصدور ويُرفع من السطور، حيث لا تقوم الساعة إِلَّا عَلَىٰ شِرار الخلق، فالقرآن كما نزل من الله سيعود في آخر الزمان إِلَىٰ الله، ويُرفع.

وقد روى الحاكم عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: إن هٰذَا القرآن الَّذِي بين أظهُرِكم يوشِك أن

يُرفع، قالوا: وكيف يُرفع وقد أثبته الله في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا؟ فَقَالَ: يُسرى عليه ليلة فيذهب ما في قلوبكم وما في مصاحفكم، وَهٰذَا في آخر الزمان، وَهٰذَا عودٌ حسي، يُرفع القرآن من الأرض؛ من الصور والسطور.

ذكرنا أن معنى قوله: وإليه يعود معنيان وذكرنا المعنى اَلْأَوَّلُ.

❷ **والمعنى الثَّانِي:** أنه يعود إِلَىٰ الله حكمًا فلا يُنسب إِلَىٰ غير الله، فهو كلام الله وصفًا، بدأ من الله وإليه يعود.

والمعلوم يا إخوة: أن الكلام إِنَّمَا يضاف إِلَىٰ مَن تكلم به، لا إِلَىٰ مَن بلغه، يعني: لو قلت لكم إني ذكرتكِ بالزهراء مشتاقًا، والأفق طلقٌ ومرء الأرض قد راق، وللنسيم اعتلالٌ في أصائله كأنما رق لي فاعتل إشفاقًا، قلت لكم إني قلت هذين البيتين، لو قلتم كيف تقول قلت، فَهٰذَا كلام ابن زيدون الشاعر الأندلسي المعروف، الَّذِي قاله مَن أنت أَوْ ابن زيدون؟ ابن زيدون، فهل يصح أن أقول: أنا قلته؟ لا يصح، مع أني الَّذِي بلغتكم إياه.

إِذًا الكلام إِنَّمَا يضاف إِلَىٰ قائله لا إِلَىٰ مَن بلغه، وَإِنَّمَا يُضاف إِلَىٰ مَن بلغه عَلَىٰ وجه التبليغ عن القائل، إِذًا كلام الله إِنَّمَا يضاف إِلَىٰ الله لا يضاف إِلَىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا عَلَىٰ وجه التبليغ، ولا يُضاف إِلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَىٰ وجه التبليغ.

↩ وهنا يأتينا سؤالٌ كبير وهو: هل اخترع الإمام سفيان هذَا الكلام؟

نقول: لا وَإِنَّمَا العقيدة يتوارثها الأئمة والعلماء، فلم يخترع العقيدة أحد من الأئمة، ولا كلمة من ذلك، وَإِنَّمَا يتوارثها العلماء، يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: هٰذَا القول الَّذِي ذكره سفيان صحيحٌ متواترٌ عن السَلَف، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مذهب سلف الأُمَّة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب وَالسُّنَّة، وهو الَّذِي يوافق الأدلة العقلية أن: القرآن كلام الله، منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وَقَالَ عمرو بن دينار هٰذَا التابعي الكبير، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أدركت أصحاب النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمَن دونهم منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوقٌ، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود، انظروا عمرو بن دينار وقد تجاوز السبعين سنة وهو العالم الثقة الكبير يقول: أدركت أصحاب النَّبِيّ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمَن دونهم من العلماء منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود.

منه خرج وإليه يعود بمعنى: منه بدأ وإليه يعود، وَهٰذَا الأثر عن عمرو بن دينار رواه الكِناني في تنزيه الشريعة وَقَالَ صحيح، وصححه السيوطي، فَهٰذَا الأثر يدلك: عَلَىٰ أن هٰذِه العقيدة هي عقيدة السَلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم أَجْمَعِيْنَ.

❑ **قَالَ سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَن قَالَ غير هٰذَا فهو كافر.**

هنا يبين سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ حُكم مَن اعتقد أن القرآن مخلوق، فمَن اعتقد أن القرآن مخلوق فهو كما قَالَ سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: كافر، وَهٰذَا الحُكم قد اتفقت عليه أهل السُّنَّة وَالجَمَاعَة: أن مَن قَالَ بخلق القرآن فهو كافر، ومعنى كافر يا إخوة: أنه مستحقٌ للتكفير لتلبسه بالمُكفِر، لا أنه كافرٌ بعينه، وَإِنَّمَا مستحق للتكفير لأنه متلبسٌ بالمُكفِر، فالكفر أَوْ كلمة كافر أَوْ كفر إِذَا وردت في النصوص، وفي كلام السَلَف.

فهي عَلَى قسمين:

- **القسم اَلْأَوَّلُ:** الوصف اَلْمُطْلَق.

- **ما معنى الوصف اَلْمُطْلَق يا إخوة؟**

وصفٌ للقول أَوْ الفعل بدون نظرٍ إِلَىٰ القائل أَوْ الفاعل، كأن يُقال: مَن قَالَ بخلق القرآن فهو كافر، هنا وصفوا القول لا القائل.

- **وَأَمَّا القسم اَلثَّانِي فهو:** المُعين، والمقصود به: تنزيل الحُكم العام عَلَىٰ شخصٍ بعينه، تنزيل التكفير العام اَلْمُطْلَق عَلَىٰ شخصٍ بعينه، وَهٰذَا لَا بُدَّ من اجتماع الشروط فيه وانتفاء الموانع.

يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: قد يُطلق القول بتكفير القائل، كما قَالَ السَلَف: مَن قَالَ القرآن مخلوق فهو كافر، ومَن قَالَ: إن الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر، ولا يُكفَر الشخص المعين حَتَّىٰ يقوم عليه الحُجة؛ يعني: الَّذِي يقول القرآن مخلوق لا يُكفَر حَتَّىٰ تقوم عليه الحُجة، وَقَالَ شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: مسألة تكفير المعين مسألةٌ معروفة.

إِذَا قَالَ قولًا يكون القول به كُفرًا، فيُقال: مَن قَالَ بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إِذَا قَالَ بذلك لا يُشقم بكُفره، حَتَّىٰ تقوم عليه الحُجة الَّتِي يكفر تاركها، إِذَا انتبهوا فَهٰذَا فيه وقاية من الاعتداء في

التكفير، بعض الجهلة كلما قرأ في الكتاب وفي القرآن نصًا فيه كفر نزله عَلَىٰ الناس، كلما قرأ حديثًا فيه كفر نزله عَلَىٰ الناس، كلما وجد كلمة للعلماء قالوا كافر نزله عَلَىٰ الناس، وليس هٰذَا منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فَهٰذَا منهج التكفيريين.

✓ **وإنما منهج أهل السنة وَالْجَمَاعَة:** التفريق بين تكفير المُطلق، وتكفير المعين، فيوصف الشيء بكونه كُفرًا لدلالة النصوص عَلَىٰ ذلك.

أَمَّا تكفير شخص بعينه فَهٰذَا لَا بُدَّ أن تقوم فيه الحُجة، مَن الَّذِي يعرف الحُجة وقيام الحُجة؟ العلماء، إِذًا ليس من شأننا نحن طلاب العِلم أن نحكم عَلَىٰ الناس بالكفر، ما كلفنا الله فالحمد لله، فكلف العلماء.

وأنا أقول لكم شيئًا يا إخوة: صاحب القلب السليم يفرح بإيمان الناس، بإسلام الناس، بكثرة المسلمين، ولو سمع أن شخصًا مسلمًا كفر لاغتم، وأهتم، وأصابه كثير هم، أَمَّا التكفيريون يحبون أن يحكموا عَلَىٰ الناس بالكفر، وإذا جئت تدافع عن مسلم تقول: ما كفر، يحاولون بكل قوة أن يثبتوا أنه كافر، فشتان بين صاحب القلب السليم الَّذِي يحب للناس الإيمان وبين صاحب القلب المظلم الَّذِي يريد أن يحكم عَلَىٰ الناس بالكفر.

تَعَالوا أَيُّهَا الإخوة ننظر مَاذَا فعل السَلَف في المسألة الَّتِي معنا في حكمهم فيمَن قَالَ: إن القرآن مخلوق، السَلَف قالوا: مَن قَالَ إن القرآن مخلوق فهو كافر، لكن كفروا كل مَن قالوا: إن القرآن مخلوق؟ الجواب: لا، وإنما كفروا مَن قامت عليه الحُجة وانتفت الموانع مثل: الجعد بن درهم.

أَمَّا مَن لم تقم عليه الحُجة أَوْ وُجِد فيه مانع فإنهم لم يكفروه، فمثلًا: الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو الَّذِي يقول: مَن قَالَ بخلق القرآن فهو كافر، في زمنه جاء المأمون وهو: خليفة المسلمين فتبنى القول بخلق القرآن، ودعا الناس إِلَىٰ القول بخلق القرآن، وَقَالَ الإمام أحمد ما قاله مَن قبله من أئمة السَلَف، القرآن كلام الله غير مخلوق، ثُمَّ تلا المأمون بعد أن مات تلاه الخليفة المعتصم.

وقد تبنى القول بخلق القرآن أكثر من سابقه، وسجن الإمام أحمد وعذب الإمام أحمد وضرب الإمام أحمد ضربًا شديدًا، ثُمَّ جاء بعد المعتصم الخليفة الواثق، وَهٰذَا الْثَّالِث من الخلفاء في هٰذِه المِحنة، وَقَالَ بما قَالَ به مَن قبله من القول بخلق القرآن، ودعا الناس إِلَىٰ ذلك، إِلَّا أن الواثق في أخر حياته رجع عن هٰذَا، لكنه لم يرفع المحنة، فلما مات الواثق جاء المتوكل فأعلن السُّنَّة ورفع المحنة، وأعلن قول السَلَف.

إِذًا المعتصم كان يقول بخلق القرآن ويأمر الناس بأن يقولوا بخلق القرآن ويعذب مَن لا يقول بخلق القرآن، مَاذَا صنع الإمام أحمد؟ الروايات الصحيحة عن الإمام أحمد أنه لم يُكفِر هؤلاء الخلفاء، بل لما مات المعتصم الَّذِي عذبه وكان يناظر الناس في القول بخلق القرآن قَالَ الإمام أحمد: جعلته في حلٍ، ثُمَّ قَالَ: ما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم بسببك.

يعني: هو فَقَطْ لم يُكفِره، جعله في حِل مِمَّا صنعه به، وَقَالَ: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم بسببك، فجعله أخًا مسلمًا، مع كونه كان يقول بخلق القرآن، إِذًا نعرف طريقة السَلَف، ومنهج السَلَف رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم في باب: التكثير.

❑ **وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود"**، ومَن قَالَ غير هٰذَا فهو كافر.

❍ ففيه فوائد منهجية نعرف بها منهج السلَف الصالح رِضْوَانُ الله تَعَالَىٰ عَلَيْهِم:

الفائدة الْأُولَى: أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أعظم الأطباء.

فأعظم الأطباء عَلَىٰ وجه الأرض هم: أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؛ لأن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يعالجون ما يصيب الناس في دينهم، وَهٰذَا أعظم داء، أشر داء يصيب الإنسان ليس الَّذِي يصيبه في جسده، وَإِنَّمَا الَّذِي يصيبه في دينه، فأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يعالجون هٰذَا الداء، وأن منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة إِذَا أظهر المُبتدِعة آرائهم أنهم يهتمون ببيان الحق ورد الباطل.

والنقطة الْثَّانِية: أن منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بيان الحق والقول به، أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لَا بُدَّ أن يبينوا الحق، وأن يقولوا به، ولذلك قَالَ: القرآن كلام الله، وَهٰذَا هو الحق، منه بدأ وإليه يعود.

النقطة الْثَّالِثة: أن منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة رد البِدعة بعينها.

ولذلك قَالَ سفيان: القرآن كلام الله غير مخلوق، هٰذِه الجملة يا إخوة ما كانت توجد في كلام الأئمة المتقدمين، لكن لما أظهر الجعد بن درهم القول بخلق القرآن وأخذ ذلك عنه الجهم بن صفوان أصبح السَلَف يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، زادوا غير مخلوق ليردوا البِدعة، فأهل السُّنَّة لا يسكتون عَلَىٰ البِدعة، ولا يقولون نقول الحق ونعلِم الحق فَقَطْ، بل إِذَا ظهرت البِدعة بينوا الحق وردوا البِدعة، ولذلك أضافوا: غير مخلوق.

النقطة الرَّابِعة: أن منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة الحُكم عَلَىٰ البِدعة وعَلَىٰ فاعلها، حمايةً لدين الناس.

ولذلك قَالَ: مَن قَالَ غير هٰذَا فهو كافر، فبِدعة القول بخلق القرآن كفرٌ؛ بِدعة كُفرية، ومَن قَالَ بها وقامت عليه الحُجة وانتفت الموانع فإنه يكفُر بها، إِذًا انتبهوا لمنهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فمنهجهم ليس مثل أهل البِدع؛ لماذا؟ لأن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يريدون حماية دين الناس، أَمَّا أهل البِدع فيريدون قلوب الناس.

فأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يبينون الحق، ويردون البِدعة، ويبينون حكمها ولو غضِب الناس، أَمَّا أهل البِدع: فهم يريدون قلوب الناس، فلا يقولون للناس إِلَّا ما يريده الناس، وشتان بين منَ يريد وجه الله وإرضاء الله، وبين مَن يريد قلوب الناس وإرضاء الناس.

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: والإيمان قولٌ وعملٌ ونية.**

هٰذَا من فقه الإمام سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه لما ذَكَرَ مسألة: كلام الله مثالًا لعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في الأسماء والصفات، إِذَا عرفت عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في كلام الله عرفت عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في الأسماء والصفات، أنتقل إِلَىٰ مسألة كبيرة من أكبر مسائل العقيدة، وقد وقع فيها الخلاف قديمًا وترتب عليها مسائل كثيرة؛ وهي: مسألة الإيمان.

✓ **ونسمي عند أهل العلم: بمسألة الأسماء والأحكام.**

فذكر مسألة الإيمان لأنها من أعظم مسائل العقيدة، والإيمان مصطلحٌ شرعي ورد في الكتاب وَالسُّنَّة.

✪ **وله في نصوص الكتاب وَالسُّنَّة معنيان:**

☚ المعنىٰ اَلْأَوَّلُ بمعنىٰ: الدين كله.

فإذا قيل الإيمان فمعناه: الدين، فهو يشمل الدين كله، كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوفد عبد القيس: قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ» متفقٌ عليه.

انظروا هنا النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل وفد عبد القيس لما أمرهم بالإيمان بالله وحده، قَالَ: أتدرون ما الإيمان بالله وحده، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، بما فسر النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان؟ بأن تشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزَّكَاة، وتصوم رمضان، وتعطي الخُمُس من المغنم، ولم يذكر الحج لأنه لم يكن قد وجب إذ ذاك، وَهٰذَا هو الدين.

☚ والمعنىٰ الْثَّانِي للإيمان: مرتبة من مراتب الدين.

انتبهوا المعنى اَلْأَوَّلُ بمعنى: الدين كله، والمعنى الْثَّانِي: الإيمان مرتبة من مراتب الدين.

❍ **فمراتب الدين ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان.**

فكان الإيمان مرتبةً من مراتب الدين، وهو بهذا المعنى يختص بالأعمال الباطنة، والإسلام مع الشهادتين بالأعمال الظاهرة، والإحسان: هو المراقبة.

✍ إذًا مراتب الدين ثلاثة:

➢ **الإسلام:** وهو الشهادتان والأعمال الظاهرة؛ تقيم الصلاة، تؤتي الزَّكَاة، تصوم رمضان، تحُج البيت.

➢ **الإيمان:** الأعمال الباطنة؛ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تَعَالَىٰ.

➢ **والإحسان:** هو المراقبة؛ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

كما جاء هٰذَا صريحًا في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي رواه الشيخان وغيرهما من أهل السُّنَّة، إِذًا عرفنا أن الإيمان في نصوص الكتاب وَالسُّنَّة ولسان العلماء يرِد بمعنيين: بمعنى: الدين كله، وبمعنى: مرتبة من مراتب الدين، ومن هذين المعنيين قَالَ العلماء: **"الإيمان والإسلام إِذَا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا"**.

➥ **ما معنى هذه الجملة؟**

الإيمان والإسلام إِذَا اجتمعا فذُكِرا معًا صار للإسلام معنى وللإيمان معنى؛ لأن هٰذَا مرتبة وَهٰذَا مرتبة كما فسرنا، وإذا افترقا فقيل: الإيمان فهو بمعنى الإسلام والدين كله، وإذا قيل الإسلام: فهو معنى الدين كله، والمراد بالإيمان كله: المعنى اَلْأَوَّلُ؛ الدين، عندما يقول سفيان: والإيمان قولٌ، وعملٌ، ونية، الإيمان هنا بمعنى: الدين.

لعلنا نقف هنا لتستريحوا قليلًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ اللهُ في السابعة وَالرُّبُع أَوْ قبلها بقليل نعاود الدرس إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عدنا إليكم والعود أحمد إِنْ شَاءَ الله، هدوء وطمأنينة بارك الله فيكم، استمعوا وأنصتوا لكلام شيخنا حَفِظَهُ اللهُ، تفضل يا شَيْخ.

السَّلَام عَلَيْكُم وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاتهْ الحمد لله وحده وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ من لا نبي بعده.

ثُمَّ أَمَّا بعد؛

فأيها الفضلاء لا زلنا مع عقيدة سفيان الثوري الَّتِي هي عقيدة السَّلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، وقبل أَن نتكلم عن مسألة الْإِيمَان أُنبه إِلَىٰ أمر يبدو أَن بعض الإخوة لم يفهم شَيْئًا ورد في كلامي، حَيْثُ ذكرنا أَن القول بخلق الْقُرْآن قول باطلٌ في ذاته وباطلٌ للوازمه، وذكرنا من لوازم القول بخلق الْقُرْآن الباطلة: أَن يكون كلام الله حادثًا، فيكون الله مُتكلمًا بعد أَن لم يكن، وهذا لا يليق بجلال الله.

يَنْبَغِي أَن تعلموا يا إخوة أَن عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في الْكَلَام: أَن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ قديم في ذاته، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يتكلم مَتَىٰ شاء، فلم يكن ربنا غير مُتكلم ثُمَّ أصبح مُتكلمًا؛ بل ربنا مُتكلمٌ مُنذ الأزل لكن الْكَلَام صِفَةٌ فِعْلية فهو سُبْحَانَهُ يتكلم مَتَىٰ شاء.

فأَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة لا يقولون: إن الله لم يكن مُتكلمًا فأصبح مُتكلمًا؛ بل يقولون: كان الله مُتكلمًا ويتكلم مَتَىٰ شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إِذًا القول بأن كلام الله مخلوق يلزم منه أَن يكون كلام الله وَالعِيَاذُ بِالله حادثًا، وَالْمَعْنَى أَن يكون الله لم يكن مُتكلمًا ثُمَّ أصبح مُتكلمًا، وهذا لا يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الإِمَام سفيان رَحِمَهُ اللهُ: **"الْإِيمَان قولٌ وعملٌ ونيّة"**، وقلنا: إن الْإِيمَان هنا بمعنى الدِّين، ومعنى هذه الجُملة: **"أَن الْإِيمَان هو جميع ما يُحبه الله ويرضاه من الطاعات الباطنة والظاهرة"**، فَلَا بُدَّ فيه من قولٍ باللسان وهذا القول هو النُطق بالشهادتين وهو أصل الأقوال.

كذلك من الْإِيمَان الذي هو قول ذِكر الله وَالْدُّعَاء، فهذه أقوالٌ من الآية قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ثُمَّ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧].

فقال الله: ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٣٦]، فأمر بالقول وسمى ذلك إيمانًا، إذًا القول من الْإِيمَان، وَلَا بُدَّ في الْإِيمَان من قولٍ مخصوص وهو النُطق بالشهادتين، فمن كان قادرًا عَلَىٰ النُطق لا يصح إيمانه حَتَّىٰ ينطق بالشهادتين.

يقول الإِمَام النووي: **"اتفق أهل السُّنَّة من المُحدثين والفُقَهَاء والمُتَكَلِّمِين – يعني من عُلَمَاء العقيدة – عَلَىٰ أَن المُؤمن الذي يُحكم بأنه من أهل القِبْلة ولا يُخلد في النَّار لا يكون إِلَّا من اعتقد بقلبه دين الإِسْلَام اعتقادًا جازمًا ونَطق بالشهادتين"**، يعني لَا بُدَّ من الاعتقاد والنُطق ونطق بالشهادتين: **"فإن اقتصر عَلَىٰ إحداهما لم يكن من أهل القِبْلة أصلًا"**.

ويقول شيخ الإِسْلَام ابن تَيْمِيَّة: **"اتفق المُسْلِمون عَلَىٰ أَن من لم يأتي بالشهادتين فهو كافر"**، يعني من لم يأتي بالشهادتين وينطق بهما مع القُدرة فإنه يكون كافرًا باتفاق المُسْلِمِين.

إذًا القول يا إخوة في الْإِيمَان هناك قول لَا بُدَّ منه ليتحقق الْإِيمَان من لم يقل هذا القول فليس بمُؤمن ما هُوَ؟ النطق بالشهادتين.

وهناك أقوال هي من الْإِيمَان مثل الدُّعَاء أَن تدعو الله عَزَّ وَجَلَّ فتقول: يا ربي ارزقني يا رب هذا قولٌ من الْإِيمَان قول من الْإِيمَان، ذِكر الله سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ للهِ، ولَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ والله أكبر من الْإِيمَان، هذا الجزء اَلْأَوَّل الْإِيمَانُ قولٌ.

❑ إذا الْإِيمَان قولٌ وعملٌ، العمل نوعان:

- عمل القلوب كالخوف والرجاء والمحبة والانقياد.
- وعمل الجوارح كالصلاة والصوم والْحَجّ والْعُمْرَة.

والقسمان -أعني عمل القلوب وعمل الجوارح من الْإِيمَان بإجماع أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة-؛ لا يوجد عالمٌ من عُلَمَاء أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة لا من المُتقدمين ولا من المُتأخرين ولا من المُعاصرين يَقُول: إن العمل لَيْسَ من الْإِيمَان.

انتبهوا لما أقول: بإجماع أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عمل القلوب وعمل الجوارح من الْإِيمَان، لا يوجد عالمٌ من عُلَمَاء أَهْل السُّنَّةِ لا من الأئمة المُتقدمين ولا من الأئمة المُتأخرين ولا من المشايخ والعُلماء المُعاصرين يَقُول: إن عمل الجوارح ليس من الْإِيمَان، لا يوجد أحد أبدًا؛ وَإِنَّمَا الذين يقولون: إن العمل ليس من الْإِيمَان هم المُرْجِئَة، الذين أخروا العمل عن الْإِيمَان.

أُركز عَلَىٰ هذا وأُدقق عَلَىٰ هذا لأن بعض طلاب العلم السَّلَفيين أصبحوا يظنون أَن بعظ الْعُلَمَاء يقولون: إن عمل الجوارح ليس من الْإِيمَان، وهذا لا يقوله أحدٌ ابدًا من عُلَمَاء أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة، إِلَىٰ اليوم والى أَن يرث الله الْأَرْض ومن عليها.

فكلمة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة مُتَفِقةٌ عَلَىٰ أَن العمل من الْإِيمَان، وإنما يخرج العمل عن الْإِيمَان أو من الْإِيمَان المُرْجِئَة، كلام الْعُلَمَاء يقولون: الْإِيمَان قولٌ واعتقادٌ وعمل يزيد وينقص؛ وَإِنَّمَا الَّذِين يُخرجون العمل عن الْإِيمَان هم المُرْجِئَة.

والعمل من الْإِيمَان قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا﴾ [الحج: ٧٧]، فالركوع من الْإِيمَان وَاسْجُدُوا فالسجود من الْإِيمَان: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون: ١]، مَن هم الْمُؤْمِنُونَ؟ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ٤]، إِلَىٰ آخر الآيات.

إذًا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، كان سائلًا سأل من هم المؤمنون؟ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢]، الصَّلَاة والخشوع فيها من الْإِيمَان وهذا عملُ البدن: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣]، عَنْ الْكَلَام الذي لا فائدة منه مُعْرِضُون، فهذا تركٌ للّغو وهو من الْإِيمَان: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤]، هذا من الأعمال المُتعلقة بالمال كُلها الْإِيمَان.

وقال النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَان بِضعٌ وسبعون»، أو قَالَ: «بِضعٌ وستون شعبة، فأفضلها قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق والحياء شُعبةٌ من الْإِيمَان».

إذًا قال النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَان بِضعٌ وسبعون»، أو قَالَ: «بِضعٌ وستون شعبة»، فهو شُعَب فأعلاها قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إذًا فيه أعلى، وأدناها أقلها إماطة الأذى من الطريق، إذا أنت إذا رأيت شَيْئًا عَلَىٰ الطريق فَقُمت فأخذته فهذا من الْإِيمَان، إذا رفعته من الطريق فهذا من الْإِيمَان، والحياة شُعبة من شُعَب الْإِيمَان.

إذًا دل هذا يا إخوة عَلَىٰ أَن العمل من الْإِيمَان، وأن العمل يُسمى إيمانًا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ما معنى الْإِيمَان هنا؟ يعني الصَّلَاة لما حُولِت القِبْلة قال الصحابة: **"ماذا يُفعَل بصلاتنا قبل تحويل القِبْلة؟"**، فكان هذا الجواب فدل ذلك عَلَىٰ أَن الأعمال من الْإِيمَان.

إذًا الْإِيمَان قولٌ وعملٌ ونية ما معنى اَلنِّيَّة؟ اَلنِّيَّة هنا بمعنى الاعتقاد الجازم والتصديق التام، وأصلها الْإِيمَان بأركان الْإِيمَان أَن تؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورُسُله واليوم الآخِر والقَدَر خيره وشره من الله تَعَالَىٰ.

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، قَالَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الْإِيمَان قلبه»، والحَدِيْث رواه أحمد وأبو داود والتِّرْمِذِيّ وصححه الألباني.

فدل ذلك يا إخوة عَلَىٰ أَن الْإِيمَان يكون في القلب وهذا هو أصل الْإِيمَان، والقول والجوارح تابعةٌ لذلك، فإذا حصل في القلب هذه اَلنِّيَّةُ الصالحة وعظم الْعَبْد ربه في قلبه، فإنه يهاب الله ويخضع لله وينقاد لله وتنقاد له جوارحه، وسارعت الجوارح إِلَىٰ طاعة ربها.

ما مصداق ذلك؟ ما دليل ذلك؟ قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كُله، وإذا فسدت فسد الجسد كُله ألا وهي القلب»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إذًا تحصل عندنا يا إخوة أَن الْإِيمَان نِيةٌ وهو اعتقاد القلب والتصديق الجازم في القلب بالأركان السِتة وهذا أصل الْإِيمَان، وإذا حصل في القلب هذا الْإِيمَان وعظم الْعَبْدُ ربه في قلبه انقاد لله وانقادت جوارحه

لله وأطاع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ إذًا الْإِيمَان قولٌ واعتقادٌ وعمل، هل هو قول سفيان؟ هذا قول السَّلَف جميعًا كما سأنقل لكم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

نعم أيها الإخوة هذه الجملة قد اتفق عليها أئمة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، يقول الإِمَام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: **"وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركنا أَن الْإِيمَان قولٌ وعملٌ ونيّة لا يُجزئ واحدٌ من الثلاثة عن الآخَر"**.

وَقَالَ الْبُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ: **"لقيت أكثر من ألف رجل من الْعُلَمَاء بالأمصار فما رأيت أحدًا منهم يختلف فِي أَن الْإِيمَان قولٌ وعمل يزيد وينقص"**.

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: **"أجمع أهل الفِقه والحديث عَلَىٰ أَن الْإِيمَان قولٌ وعمل ولا عمل إِلَّا بِنِية"**.

إذًا عُلَمَاؤنا عُلَمَاء أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة مُتفقون عَلَىٰ أَن الْإِيمَان قولٌ وعملٌ ونية لا خلاف بينهم أبدًا.

(المتن)

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: والإيمان قولٌ وعملٌ ونية يزيد وينقص.

(الشرح)

اتفقت كلمة أهل السُّنَّة عَلَىٰ أَن الْإِيمَان يزيد، كما قال ربنا: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وكما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

فهذه النُّصُوص من الْقُرْآن تدل دلالةً بينة عَلَىٰ أَن الْإِيمَان يزيد، وذهب أكثر أهل السُّنَّة إِلَىٰ التصريح بأنه ينقص، وتوقف بعض أهل السُّنَّة عن هذه الكلمة لعدم ورودها في النُّصُوص، فتوقفوا ورعًا فَقَطْ والصواب أَن الْإِيمَان ينقص لِمَاذَا؟ لأن الذي يزيد ينقص فهذا لازمٌ لَا بُدَّ منه، لَا بُدَّ منه ولأن الأعمال من الْإِيمَان، والمعلوم أَن العبد يا إخوة يُحسن ويُسيء، فإذا أحسن زاد الْإِيمَان، وإذا أساء نقص الْإِيمَان.

إذًا الْإِيمَان يزيد وينقص، اتفقت كلمة أهل السُّنَّة عَلَىٰ إطلاق لفظ الزيادة لوروده في النُّصُوص، وذهب أكثر أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة إِلَىٰ النقص وتوقف قليلٌ منهم في العبارة فَقَطْ تورعًا، والصواب أَن الْإِيمَان يزيد وينقص.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يزيدُ بالطاعة وينقص بالمعصية.

(الشرح)

انتبهوا يا إخوة: الْإِيمَان عند أهل السُّنَّة الجماعة شُعَب كما دلت عليه الْأَدِلَّة كَمَا تَقَدَّمَ، وما دام أنه شعب فإنه يزيد وينقص كَمَا تَقَدَّمَ، ويتفاضل أهله فيه فليس أهل الْإِيمَان عَلَىٰ درجة واحدة في الْإِيمَان؛ بل منهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مُقتصد ومنهم سابقٌ بالخيرات.

فأهل الْإِيمَان يتفاضلون وهذا يُدركه العاقل بأدنى تأمل، فهل يتصور عاقل أَن إيمان المُؤمن اليوم كإيمان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لا يتصور هذا عاقل فالناس يتفاضلون في الْإِيمَان.

وهذا ما خالف فيه أهل الْبِدَع، فقالوا أَن الْإِيمَان لا يتجزأ وليس شُعبًا، ثُمَّ اختلفوا فيه إذا نقص، فقالت الوعيدية: الْإِيمَان واحد إذا ذهب بعضه ذهب كُله، إنسان قَالَ: أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رسول الله وصدق بقلبه وعَمِل وكَذب كذبة ذهب الْإِيمَان.

فَهَؤُلَاءِ الوعيدية من الْخَوَارِج والْمُعْتَزِلَة يقولون: الْإِيمَان واحد ما يتجزأ فإذا ذهب بعضه ذهب كُله، وقابلهم الْمُرْجِئَة قَالُوا: الْإِيمَان واحد ما يتجزأ فلا يزيد ولا ينقص، وإذا ثبت ثبت كُله، فإيمان الناس واحد إيمان البر كإيمان الفاجر؛ بل يقولون: أَن إيمان الْمُتأخر كإيمان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإيمان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهما طائفتان مُبتدعتان مُتقابلتان اتفقتا عَلَىٰ شيء وهو أَن الْإِيمَان واحد لا يتجزأ؛ ولكن الوعيدية ذهبوا إِلَىٰ الوعيد وقالوا: إذا ذهب بعضه ذهب كُله، والْمُرْجِئَة ذهبوا إِلَىٰ الوعد فقالوا: إذا ثبت الإِمَام ثبت كُله، فلا يضر مع الْإِيمَان ذنب ولا يزداد الْإِيمَان بطاعة.

وَلَا شَكَّ أنهم رادونَا للنصوص يكفي في ذلك قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يخرج من النَّار من كان في قلبه مِثقال ذرة من إيمان**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، فدل هذا عَلَىٰ أَن العاصي يبقى في قلبه إيمان ما لم ينقض التَّوْحِيد، ما لم ينقض التَّوْحِيد.

لعلنا نقف الآن ونُصلي المغرب، ثُمَّ بعد المغرب إِنْ شَاءَ اللَّه سنبدأ بموضوع في غاية الأهمية وهي ما هو الفَرق بين أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة وأهل الْبِدَع في باب الْإِيمَان؟ هذا لَا بُدَّ من ضبطه، وسأخبركم بعد الصَّلَاة إِنْ شَاءَ اللَّه لِمَاذَا يجب أَن نضبط هذا الباب؟

بسم الله، وَالحَمْدُ للهِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ رَسُول الله وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَمَّا بعد.

أَيُّهَا الإخوة سيشرع شيخنا الفاضل الشَّيْخ: سُليمان في إتمام شرح عقيدة سُفيان، فالمرجو من الإخوة جزاكم الله خيرًا المُحافظة عَلَىٰ الهدوء والسكينة بارك الله فيكم تفضل شيخنا.

السَّلَام عَلَيْكُم وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاتهْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للّعَالَمِينَ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

ثم أَمَّا بعد؛

فلا زلنا أَيُّهَا الإخوة مع مسألة الْإِيمَان وهي مَسْأَلَة عظيمة وقع فيها مُخالفة أهل الْبِدَعِ لأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وذكرت لكم قبل الأذان أَن سنذكر أمرًا من الأهمية بمكان، وهو بيان ما خالف فيه أهل الْبِدَع أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في مسائل الْإِيمَان، وهذا أمر من الأهمية بمكان لِمَاذَا؟ لأن الذين لم يعرفوا هذا قد اعتدوا عَلَىٰ بعض عُلَمَاء السُّنَّة واتهموهم بأنهم مُرْجِئَة أو بأنهم أشباه الْمُرْجِئَة، أو بأنهم يُوافقون الْمُرْجِئَة، وكل هذا لم يكن فمن عَرف أوجه الاختلاف بين أهل السُّنَّة وأهل البدعة في مَسَائِل الْإِيمَان يُدرِك هذا الأمر كما لكم عَلَىٰ وجه التفصيل إِنْ شَاءَ اللَّه.

فقد خالف أهل الْبِدَع أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في مسائل الْإِيمَان في أمور:

⇦ الأمر اَلْأَوَّل: أَن أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يرون أَن العمل من الْإِيمَان، بخلاف أهل الْبِدَع فإنهم لا يرون العمل من الْإِيمَان.

⇦ الأمر الْثَّانِي: أَن أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يرون أَن الْإِيمَان يتبعض فقد يذهب بعضه ويبقى بعضه، بخلاف أهل الْبِدَع فإنهم يرون أَن الْإِيمَان لا يتبعض.

⇦ الأمر الْثَّالِث: أَن الْإِيمَان عند أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يزيد وينقص، بخلاف أهل الْبِدَع فإن الْإِيمَان عندهم لا يزيد ولا ينقص.

⇦ والأمر الرَّابع: أَنَّهُ قد يجتمع في المرء الواحد عند أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة كُفرٌ وإيمان وشِرْكٌ وتوحيد وطاعةٌ ومعصية، أي أنه قد توجد فيه شُعَب من شُعَب الْكُفْر لكن لا يكون كافرًا، وقد تكون فيه شُعبٌ من شُعب الْإِيمَان يعني في شُعب من شُعب الْكُفْر وشُعب من شُعب الْإِيمَان، وقد يكون فيه طاعة ومعصية، وأهل الْبِدَع يُخالفون في هذا فيرون أَن العبد إِمَّا أنه مُؤمن وَإِمَّا أنه كافر، إِمَّا أنه مطيع وَإِمَّا أنه عاصي.

⇦ والأمر الخَامِس: أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يرون الاستثناء في الْإِيمَان، ما معنى الاستثناء في الْإِيمَان؟ أَن يقول الْعَبْد: أنا مُؤمنٌ إِنْ شَاءَ اللَّه، إِنْ شَاءَ اللَّه ليس شَكًّا في الْإِيمَان وَإِنَّمَا لأن العمل من الْإِيمَان والأعمال كثيرة، ولا يستطيع الْإِنْسَان أَن يأتي بالجميع الأعمال وَأَيْضًا لأن الْإِنْسَان لا يدري ما يُختم له به نسأل الله حُسن الختام.

فأَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يرون أنه يَجُوز أَن يُقَال: أنا مُؤمنٌ إِنْ شَاءَ اللَّه، بخلاف أهل الْبِدَع فإنهم لا يجيزون أَن يَقُول المُؤمن: أنا مُؤمنٌ إِنْ شَاءَ اللَّه.

⇦ الأمر السَّادِس: أَن أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يُقيمون كلامهم في الْإِيمَان عَلَىٰ أدلة الْكِتَاب وَالسُّنَّة، بخلاف أهل الْبِدَع فإنهم لا يستندون إِلَىٰ أدلة الْكِتَاب وَالسُّنَّة، ما فائدة ضبط هذه الامور؟ هذا نذكره إِنْ شَاءَ اللَّه.

⇦ ما فائدة ضبط هذا الباب؟

فائدته -كَمَا قُلْنَا-: أنك يا طالب الْعِلْم إذا وجدت العالم يَقُول بقول أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة فيقول: العمل من الْإِيمَان، ويقول: الْإِيمَان يزيد وينقص، ويقول: إن الإنسان قد يجتمع فيه ما يقتضي العقاب وما يقتضي الثواب، فقد يكون فيه شيء من الوعد وشيءٌ من الوعيد، ووجدته أَيْضًا يقول بجواز الاستثناء في الْإِيمَان ووجدته يبني كلامه عَلَىٰ قول الله وعلى قول رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمت أنه قد بَرِئ من أهل الْبِدَع في الْإِيمَان، وأنه من أهل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، ولا يَجُوز أَن يُوصف بأنه مُرْجِئ ولا أنه شبيهٌ بالْمُرْجِئَة ولا أنه يُوافق الْمُرْجِئَة.

قال الإِمَام البربهاري: **"من قَالَ: الْإِيمَان قولٌ وعمل يزيد وينقص فقد بَرِئ من الإرجاء أوله وآخره"**.

فهذه مسألةٌ من الأهمية بمكان أَن نضبطها حَتَّىٰ نعرف حوض أهل السُّنَّة ومن فيه من الناس، وحوض أهل الْبِدَع ومن فيه من الناس.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ رسول الله وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ ومن والاه.

قَالَ سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ولا يجوز القول إِلَّا بالعمل، ولا يَجُوز القول والعمل إِلَّا بِالنِّيَّةِ، ولا يَجُوز القول والعمل وَالنِّيَّةِ إِلَّا بُموافقة السُّنَّة.

(الشرح)

"لا يجوز القول إِلَّا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إِلَّا بِالنِّيَّةِ"، هذا معنى ما تقدم من أَن الْإِيمَان قولٌ واعتقادٌ وعمل، وقد اتفق أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ أَن من جاء بهذه الثلاثة فهو مُؤمن.

والاعتقاد في القلب بدون النُطق باللِسان مع القُدرة أو بدون عملٍ ليس إيمانًا، والنُطق والعمل بدون اعتقاد نِفاق الذي يَقُول: أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رسول الله ويذهب ويصلي مع الْمُسْلِمِين يَقُول يعمل لكنه لا يعتقد في قلبه، يُبطن الْكُفْر ويُظهِر الْإِيمَان هٰذَا نِفاق.

والاعتقاد في القلب والنُطق باللسان من غير عمل جوارحٍ دعوة بلا بُرهان، الذي يَقُول: أنا مؤمن أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رسول الله ويقول: قلبي مليء بالإيمان ولكنه لا يعمل بجوارحه أبدًا فهذه دعوة بلا بُرهان، يردها قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كُله».

فلو جاءنا إنسان وَقَالَ: أنا قلبي مليء بالإيمان اشهد أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رسول الله؛ لكن نجد جسده فاسدًا لا يعمل الصالحات هل صدق دعواه بالبُرهان؟ الجواب: لا، لأن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كُله».

وأَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة -كَمَا تَقَدَّمَ-: مُتفقون عَلَىٰ أَن عمل الجوارح من الْإِيمَان، وأن الْإِيمَان يزيد وينقص، من الذي خالفهم في ذلك؟ الْمُرْجِئَة خالفوا في الْإِيمَان وقالوا: إن الْإِيمَان لا يزيد ولا ينقص.

وقال غُلاتهم: **"العمل كُله عمل القلوب وعمل الجوارح ليس من الْإِيمَان"**.

وَقَالَ مُرْجِئَة الفُقَهَاء: **"عمل الجوارح ليس من الْإِيمَان ولكن الْإِيمَان يطلبه"**.

هذا أصل الْمَسْأَلَة، وقد تقدم معنا أَن الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللهُ: **"نقل إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة عَلَىٰ أنه لَا بُدَّ من الثلاثة لا يجزئ واحدٌ عن الآخرين، فلَا بُدَّ من الثلاثة"**.

وهناك أَيُّهَا الإخوة مَسْأَلَةٌ قليلة الوقوع لا يتعلق بها سُنَّةٌ وبِدعة، وَإِنَّمَا يتعلق بها صوابٌ وخطأ، ولكن كبرها الناس بكثرة الْكَلَام فيها في هذه الأيام ألا وهي مَسْأَلَة من لم يعمل بجوارحه عملًا قط هل يكون مؤمنًا؟ وبعضهم يُعبر عنها بمسألة هل عمل الجوارح شرطٌ لصِحة الْإِيمَان أو شرطُ كمال؟

وهذه الْمَسْأَلَة أقول مَسْأَلَة قليلة الوقوع كيف مسألة قليلة الوقوع؟ يا إخوة هل يُتصور أَن مُسْلِمًا اعتقد بقلبه ونطق بلسانه صادقًا يُؤمر بالطاعات، فلا يفعل منها شَيْئًا طول عُمُره مع فهمه وقُدرته؟

يعني مُسْلِم اعتقد بقلبه صادقًا ونطق صادقًا ويعيش سبعين سَنة أو ستين سَنة أو أربعين سَنة، هل يُتصور أنه يُؤمر بأن يُطيع الله فلا يفعل شَيْئًا من ذَلِكَ أبدًا؟ هذا لا يُتصور ترده الشَّرِيعَة ويرده الواقع؛ ترده الشَّرِيعَة كما قلنا في قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كُله».

ويرده الواقع فإن هذا لا يتصور ولو وقع لكان قليلًا في الناس، ومع ذلك أقول في هذه الْمَسْأَلَة: إنَّا تتبعنا النُّصُوص وكلام السَّلَف فوجدنا السَّلَف في عمل الجوارحِ -أعني في ترك عمل الجوارح من جِهَةِ نقض الإيمان- عَلَىٰ فريقين:

فريقٌ يرى: أَن بُرهان الْإِيمَان عملٌ خاصٌ من أعمال الجوارح لَا بُدَّ منه، من لم يأت به فليس بمُؤمن ألا وهو الصَّلَاة، هذا عمل خاص فبعض السَّلَف وقد ذهب بعض أهل الْعِلْم إِلَىٰ أنه اجماع الصحابة؛ ولكنه إجماعٌ مَظنون ليس إجماعا قطعيًا يرون أَن بُرهان صِحة الْإِيمَان الصَّلَاة، فمن نطق بالشهادتين وتمكن من الصَّلَاة يعني ما مات فور إسلامه وكان قادرًا عَلَىٰ الصَّلَاة فلم يُصلِ فهو عندهم كافر.

إذًا هذا الفريق من السَّلَف يرى أَن العمل الَّذِي يُبرهن عَلَىٰ صدق الْإِيمَان هو الصَّلَاة، وهذا هو الذي أرجحه أنا وهو أَن الإنسان لا يكون مُؤمنًا إِلَّا إذا صلى.

وفريقٌ من السَّلَف يرى: أَن الْإِيمَان لَا بُدَّ فيه من عملٍ من أعمال الجوارح؛ لكن لم يخصصوه بالصَّلَاة فَيُبرهن الْإِنْسَان عَلَىٰ صدق إيمانه بأي عملٍ من أعمال الجوارح يفعله لله.

يعني يا إخوة لو أخرج من جيبه مالًا تصدق به عَلَىٰ مسكين لله حصل البُرهان عَلَىٰ صدق إيمانه، أحسن إِلَىٰ يتيم لله حصل البرهان عَلَىٰ صدق إيمانه.

إذًا مجموع النصوص وطريقة السَّلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم: أَن دعوى الْإِيمَان لَا بُدَّ لها من بُرهانٍ في الظاهر غير القول والدعوى، ولكنهم اختلفوا إِلَىٰ فريقين:

فريق يَقُول: لَا بُدَّ من عملٍ وهو الصَّلَاة، وَهٰذِه اختلف فيها السَّلَف يعني ما يَجُوز أَن تأتي فتقول: الذي يقول أَن تارك الصَّلَاة ليس كافرًا مُرجئ ما يَجُوز هٰذَا، لكن هذا فريق من السَّلَف وهذا الذي أختاره أَن الْإِيمَان لَا بُدَّ فيه من الصَّلَاة بشرط القُدرة، بمعنى أَن يكون هُنَاكْ وقت لِيُصلي.

أَمَّا من أسلم ومات قَالَ: أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رسول الله ومات، هذا بإجماع الْعُلَمَاء مُسْلِم مُؤمن يُصلى عليه ويُستغفر له؛ لكن المسألة من كان قادرًا عَلَىٰ العمل عاش عشرين سَنة ثلاثين سَنة أربعين سَنة، فهو قادرٌ عَلَىٰ العمل وعَلِم بشرائع الإِسْلَام الذي عليه كلمة السَّلَف أنه لَا بُدَّ من عملٍ يُصدق إيمانه عمل من أعمال الجوارح.

ومع ذلك نقول من خالف في هذه الْمَسْأَلَة من الْعُلَمَاء لأنه ظن أَن الْأَدِلَّة تدل عَلَىٰ ما يَقُول؛ فَإِنَّهُ من أهل السُّنَّة قَلبًا وقَالبًا ولم يقترب من الإرجاء أصلًا فهذا هو القول العَدلُ في هذه الْمَسْأَلَة.

ونحن هُنَا نتكلم باختصارٍ من أجل وقت، وأنا أدعو طُلاب الْعِلْم إذا لم يكن عندهم عِلْمٌ بالمسألة أَن يقتصروا عَلَىٰ ما أجمع عليه السَّلَف وهو أَن الْإِيمَان قولٌ وعملٌ ونِيّة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

(المتن)

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ولا يجوز القول والعمل وَالنِّيَّةُ إِلَّا بموافقة السُّنَّة.

(الشرح)

نعم قوله رَحِمَهُ اللهُ: **"ولا يجوز القول والعمل وَالنِّيَّةُ إِلَّا بموافقة السُّنَّة"**، قوله: إِلَّا بموافقة السُّنَّة **يحتمل أمرين:**

➢ **الأمر الْأَوَّل:** بمعنى أنه لا يجوز القول وَالنِّيَّةِ إِلَّا بما شرعه الله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك ما يُسمى بتجريد المُتابعة لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلَا بُدَّ أَن يكون الْعَبْد في إيمانه مُتبعًا لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلَا بُدَّ من اتْبِاع مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتباعًا مُطْلَقًا.

وكما قال النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وكما قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ».

فَهذَا معنى مُوافقة السُّنَّة أَن يكون الْإِنْسَانُ فِي إيمانه مُتبعًا لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعيدًا عن الْبِدَع والمُحدثات فَإِن كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

➢ **والأمر الثَّانِي:** مَعْنَاهُ أَن تكون مُوافقًا لأهل السُّنَّة فِي كلامهم ومُخالفًا لأهل الْبِدَع، ما معنى مُوافقة السُّنَّة؟ الْمَعْنَى الثَّانِي هُنَا: أَن تكون مُوافقًا لأهل السُّنَّة فِي كلامهم مُخالفًا لأهل الْبِدَع، ويدل الْمَعْنَى ما جاء بعده فإن سُفيان فَسر مُوافقة السُّنَّة بمُوافقة كلام أهل السُّنَّة فِي مَسَائِل ستأتي إِنْ شَاءَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وكِلا المعنيين صَحِيْح.

➥ **ما معنى مُوافقة السُّنَّة؟**

أَن تُوافق رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اعتقادك وفي قولك وفي عملك، وأن يكون كلامك مُوافقًا لكلام أهل السُّنَّة ومُخالفًا لكلام أهل الْبِدَع، وهذا من الْإِيمَان وقد فَسر سُفيان مُوافقة السُّنَّة بما يدل عَلَىٰ هذا الْمَعْنَى.

(المتن)

قال شُعيب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فقلت له: يا أبا عبد الله وما مُوافقة السُّنَّة؟ قَالَ: تقدمة الشَّيْخين أبي بكر وعُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(الشرح)

قال شعيب: **"فقلت له: يا أبا عبد الله وما مُوافقة السُّنَّة؟"**، كيف تكون مُوافقة السُّنَّة؟ فقَالَ: **"تقدمة الشَّيْخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا"**، كان سُفيان رَحِمَهُ اللهُ عَلَىٰ طريقة أئمة أهل السُّنَّة سليم الصدر لصحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد عُدَت مناقب سُفيان عند عاصم بن محمد فَقَالَ: **"إني لأعرف فيه فضيلةً أفضل من هذه كُلها"**.

ذكر الناس عند عاصم بن محمد فضائل سُفيان فعددوا فضائل كثيرة، فَقَالَ: **"إني لأعرف فيه فضيلةً أفضل من هذه كُلها"**، ما هي؟ قَالَ: **"سلامة صدره للصحابة"**.

ومن سلامة صدره عَلَىٰ طريقة السَّلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أنه قَالَ: «إن مُوافقة السُّنَّة تقدمة أبي بكر وعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا"، **وهذا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بين أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة من زمن الصحابة إِلَىٰ يومنا لا يختلفون فيه.**

قال ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كُنا نُخير بين الناس في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنُخير أبى بكرٍ، ثُمَّ عُمَر ابن الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ" **رواه البُخَارِيّ.**

إِذًا من زمن الصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم كانوا يُخيرون بين الناس وَ-لَا شَكَّ أَن الناس يتفاضلون، وكانوا يُفضلون أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بل قَالَ مُحَمَّد بن الحنفية وهو ابن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْت لأبي أي لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أي الناس خيرٌ بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: **"أبو بكر"**، قُلْت: ثُمَّ من؟ قَالَ: **"ثُمَّ عُمَر"**، قَالَ: وخشيت أَن يَقُول: عُثمان فَقُلْت: ثُمَّ أنت، خشي أنه إذا سأله يَقُول: عُثمان قَالَ: ثُمَّ أنت فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ: **"ما أنا إِلَّا رجلٌ من الْمُسْلِمِين"** رواه البُخَارِيّ.

بل ذكر بعض أئمة الحديث أَن هذا التفضيل يُروى عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ثمانين وجهًا؛ إِذًا أئمة الإِسْلَام من زمن الصحابة إِلَىٰ اليوم يُفضلون أبى بكر ثُمَّ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان سُفيان الثوري يَقُول: **"إن قومًا يقولون: لا نقول لأبي بكرٍ وعُمَر إِلَّا خيرًا"**، يعني ما نَقُول في أبي بكر إِلَّا خيرًا، ولا نَقُول في عُمَر إِلَّا خيرًا.

"إن قومًا يقولون: لا نقول لأبي بكرٍ وعُمَر إِلَّا خيرًا؛ ولكن عليًا أَوْلَى بالخِلافة منهما"، يعني يَقُول: إن قومًا يقولون: نحن ما نسب أبى بكر وَإِنَّمَا نَقُول فيه الخير، ولا نسب عُمَر وإنما نقول فيه الخير؛ لكنَ نرى أَن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْلَى بالخِلافة منهما.

قَالَ: **"فمن قَالَ ذَلِكَ فقد خطأ أبى بكرٍ وعُمَر وعليًا والْمُهَاجِرِين والأنصار"**، لأن الصحابة جميعًا اتفقوا عَلَىٰ من؟ عَلَىٰ أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ اتفقوا عَلَىٰ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمن قَالَ هذا فقد خطأ أبى بكر وخطأ عُمَر وخطأ عليًا وخطأ الْمُهَاجِرِين والأنصار.

طيب قَالَ: **"ولا أدري ترتفع مع هذا أعمالهم إِلَىٰ السماء؟"**، يَقُول: لا أدري هل ترتفع أعمالهم مع هذا القول إِلَىٰ السماء يَعْنِي؟ هل يُقبل منهم عمل؟ وهذا يدلك عَلَىٰ أَن أئمة الإِسْلَام يرون أَن أبى بكر أفضل

الأُمَّة بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الأُمَّة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأن أبى بكر هو الأَوْلَى بالخلافة كما وقع، وأن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الأَوْلَى بالخلافة بعد أبي بكرٍ كما وقع، وهذه عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة.

(المتن)

قال سُفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يا شعيب لا ينفعك ما كتبت حَتَّىٰ تقدم عُثمان وعلي من بعدهما.

(الشرح)

نعم حُب عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الْإِيمَان، قال سُفيان الثوري: **"لا يجتمع حُب علي وعُثمان إِلَّا في قلوب نُبلاء الرِّجَال"**.

وقد اتفق الأئمة عَلَىٰ أَن عليًا وعُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أفضل ممن بعدهما، اتفق الأئمة عَلَىٰ أَن عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل ممن بعدهما؛ لكن من هو الأفضل منهما عند سُفيان؟

يعني يا إخوة عُثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند جميع الأئمة أفضل ممن بعدهما من الصحابة وسائر الأُمَّة؛ لكن من هو الأفضل منهما علي أو عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ ولا سيما عند سُفيان الذي نتكلم عن عقيدته؟

سُفيان رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَر في هذا عَلَىٰ مراحل ففي اَلْأَوَّل كان عَلَىٰ مذهب أهل بلده هو من الكوفة، والمعروف أَن أهل الكوفة يُفضلون عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن المُعتاد أَن الْإِنْسَان في نشأته يكون عَلَىٰ المعروف في بلده هذا المُعتاد وهكذا كان سُفيان.

فكان رَحِمَهُ اللهُ يُقدم عليًا عَلَىٰ عُثمان فَيُثلث بعلي، ولذلك قال عن سُفيان: **"فيه تَشيعٌ يسير كان يُثلِث بعلي"**، هذا معنى تشيع يعني كان يُثْلِث بعلي ثُمَّ إِنَّه رَحِمَهُ اللهُ لما تقدم في الْعِلْم توقف عن المُفاضلة لا يُفضِل أَحَدُهُمَا عَلَىٰ الآخَر كِلاهما فاضلان.

وهذا يظهر واللهُ أَعْلَمُ أنه عندما أملى هذه الوصية هذه العقيدة كان عَلَىٰ هٰذَا؛ ولذلك ماذا قال هنا؟ قَالَ: **"يا شعيب لا ينفعك ما كتبت حَتَّىٰ تُقدم عُثمان وعليًا عَلَىٰ من بعدهما"**، ولم يذكر المُفاضلة بينهما.

ثُمَّ في المرحلة الثَّالِثة لما رحل إِلَىٰ الشيوخ الكِبار وجالسهم رَجع إِلَىٰ ما عليه أكثر أئمة السُّنَّة وَالجَمَاعَة؛ بل حكى بعضهما الإجماع عَلَىٰ ذلك وهو تفضيل عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك أَن سُفيان رَحِمَهُ اللهُ ارتحل إِلَىٰ

أيوب وابن عون وهما من كِبار الأئمة فقال له أيوب جُملةً عجيبة قال له: **"من قدم عليًا عَلَىٰ عُثمان فقد أزرى بالْمُهَاجِرِين والأنصار"**.

هل أنت أعلم وأحسن قلبًا من الْمُهَاجِرِين والأنصار في زمن عُثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما؟ ألم يقدم الْمُهَاجِرون والأنصار عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويُبايعون له بالخلافة ومنهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

فإذا قُلْت: إن عليًا أفضل من عُثمان أو توقفت فقد أزريت بالْمُهَاجِرِين والأنصار، فرجع سُفيان رَحِمَهُ اللهُ إِلَىٰ تفضيل عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ علي والكُل فاضلٌ.

ولهذا قال زيدُ ابن الحُباب: **"خرج سُفيان إِلَىٰ أيوب وابن عونٍ فترك التشيع"**، ما هو المعنى أنه كان شيعيًا لكن معنى التشيع أنه كان يُثْلِث بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما خرج إِلَىٰ ابن عون وأيوب ترك هذا ورجع إِلَىٰ تفضيل عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نعم يسمح لي الإخوة بجُملة أختم بها لا يحسن تأخيرها لتعلقها بهذا الباب، وهو أَن الإِمَام سفيان رَحِمَهُ اللهُ كان يتميز بالحِكمة في هذا الباب فقَالَ عمرو بن حسان: **"كان سفيان نعم الْمُداوي، إذا دخل البصرة حدث بفضائل علي، وإذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان"**.

كان إذا دخل البصرة لأن أهل البصرة يُفضلون عُثمان، وبعضهم كأنه يَتنقص عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان إذا دخل البصرة يُحدثهم بأَحَادِيْث فضل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإذا دخل الكوفة يُحدثهم بفضائل عُثمان لأنهم كانوا يُفضلون عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكأن بعظهم يتنقص عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيُداوي هؤلاء ويُداوي هَؤُلَاءِ وهكذا عُلَمَاء السُّنَّة يَنشرون النور حَيْثُما وجدوا ويُعالجون الناس بما يَحتاجون إليه.

نعم لعلنا نقف هنا، وغدًا إِنْ شَاءَ اللَّه نُكمِل ما يتعلق بعقيدة سُفيان وما فيها من الفوائد العظيمة، وغدًا أظن أَن أَوَّل مجلس يبدأ بعد الظُهر في أي ساعة؟ الساعة الثانية إِلَّا ربع بعد صلاة الظهر يعني بعد صلاة الظهر إِنْ شَاءَ اللَّه.

المجلس (٥)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

ثُمَّ أَمَّا بعد؛

أيها الإخوة الأفاضل! أيها الحضور الكريمَ! السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

بسم الله نفتتح هذا اليوم الثالث من أيام هَذِه الدورة العلمية لشيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور/ **سليمان الرحيلي حفظه اللَّه.**

والتي بعنوان: (**عقيدة المسلمين هدايةٌ وأمان في شرح عقيدة سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ**).

وهذا اليوم كما يعلم الجميع يوم خِتام هَذِه الدورة المباركة كما هو مُقرر، ووالله أحببنا لو تستمر هَذِه الدورة لأكثر من هَذِه الأيام المعدودات، أسأل الله تعالى لشيخنا التوفيق والسداد، والرُشد والرشاد، كما أسأله جل وعلا أن يجعل جهوده في ميزان حسناته يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا مَن أتى الله بقلبٍ سليم.

فباسمكم جميعًا أيها الإخوة الكرام أجدد التِرحاب دائمًا بشيخنا الفاضل، كما أجدد التِرحاب بكم أنتم أيها الإخوة الأفاضل الكِرام، سائلًا المولى عَزَّ وَجَلَّ أن يُثيبكم ويتقبل منكم، ويجعل سعيكم مشكورًا، ويجزيكم خير الجزاء.

أيها الإخوة! برنامج هذا اليوم سينطلق كما تعلمون بعد هَذِه الصلاة صلاة الظهر مباشرةً حيث يستأنف شيخنا حفظه الله شرح عقيدة سفيان، وبعد ذلك ستكون استراحة على حسب مَا يراه شيخنا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

وبعد صلاة العصر عودة مرة ثانية إلى شرح عقيدة سفيان، وبعدها ستتاح الفرصة للإجابة عَنْ بعض أسئلة الإخوة الأفاضل وَهِيَ كثيرةٌ وكثيرةٌ جدًّا إلى حدود أذان صلاة المغرب، وبعد أداء هَذِه الصلاة صلاة المغرب سيُلقي شيخنا حفظه الله محاضرةً بعنوان: **(أصول التعامل)**.

وفق الله شيخنا الفاضل وأمده بالقوة والصحة والعافية وأجل لَهُ الأجر والمثوبة، وتقبل منا ومنه صالح الأعمال.

وأذكِر دائمًا نفسي وإخواني بالمحافظة على النظام والهدوء وعدم التشويش بارك الله فيكم، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

وليتفضل شيخنا مشكورًا.

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بعد؛

فإن أحسن الحَديْث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور مُحدثاتُها، وكل مُحدَثَةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

ثم يا معاشر الفضلاء! أرحب بالإخوة والأخوات في هذا المجلس العلمي الذي أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعله مباركًا، وأن يجعله من المجالس التي تَسرُنا إذا لقينا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم من المعلوم أيها الأخوة: أن العقيدة هِيَ أصل الأصول عند أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، فأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يتميزون عَنْ غيرهم بالعناية بالعقيدة على وجه التفصيل؛ ولذا: ينبغي على طلاب العِلم الذين وفقهم الله عَزَّ وَجَلَّ إلى هَذِه النعمة العظمى التي هِيَ منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أن يعتنوا بالعقيدة، وأن يتعلموا العقيدة على وجه التفصيل كما بينها ربنا في كتابه، ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنته وسطرها سلف الأمة أقوالًا جِيادًا، وكلماتٍ عُظمى في كتب المعتقد.

ومن هنا اجتمعنا على شرح كتاب: **(عقيدة سفيان الثوري)**، وهذا الكتاب يتميز بمَيزةٍ عظيمة: وَهِيَ أن الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قد جعل في هَذِه العقيدة التي أوصى بها تلميذه شُعيبًا الأصول الكبار التي يتميز بها أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة عَنْ أهل البِدعة، وهذا قائمٌ عَلَى أصلٍ أجمع عليه أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: وَهُوَ أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يتميزون عَنْ أهل البدع والأهواء؛ فلا يتميعون، ولا يتلونون، وإنما هم بعقيدتهم متمسكون وفي منهجهم متميزون، وهذا راجعٌ إلى الأصل العظيم الذي رسمه لنا نبينا صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» فأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يقولون: مَن رَغِب عَنْ سُنة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليس منا.

نعم يجمعنا مع أهل البِدع الدائرة الواسعة وَهِيَ دائرة الإسلام، لكن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يتميزون عَنْ أهل البدع؛ ولذا كانت العناية بعقيدة سفيان ذات أهميةٍ كبرى لنعرف الأصول الكبرى التي يتميز بها أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة عَنْ غيرهم من أهل الأهواء والبدع.

وقد تقدم معنا أيها الإخوة أن القرآن كلام الله، وأن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتكلمٌ، كان متكلمًا في الأزل ويتكلم متى شاء، فلما خلق الله القلم وشاء أن يكلمه كلمه وقال لَهُ: اكتُب، ولما شاء أن يتكلم بالزَبور تكلم به، ولما شاء أن يتكلم بالتوراة تكلم بها، ولما شاء أن يتكلم بالإنجيل تكلم به، ولما شاء أن يتكلم بالقرآن تكلم به؛ وهذا معنى قول علمائنا: (إن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد).

- **فمعنىٰ قديم النوع**: أنه قديمٌ بأصله في الأزل.
- **ومعنىٰ حادث الآحاد**: أن الله يتكلم متى شاء.

ومن عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: أن كلام الله لا نفاد لَهُ، وأن كلام الله ابتدأ من الله فتكلم به الله عَزَّ وَجَلَّ وإليه يعود، فيُنسَب الكلام إلى الله، فنقول بقلوبٍ مِلئُها التصديق: القرآن تكلم به الله وَهُوَ كلام الله وإليه يعود وصفًا وإليه يعود حسًا في آخر الزمان حيث يُرفَع القرآن من الصدور والسطور.

وتقدم معنا: أَن مَنْ قال: إن الْقُرْآنِ مخلوق؛ فهو كافر، أي أَنَّهُ قائلٌ بكُفرٍ؛ لأنه مُكَذِبٌ لله ومُكَذِبٌ لرسول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورادٌ ما أجمع عَلَيه السَّلَف الصالح رُضوان اللَّهِ عليهم، ولا يعني أَنَّهُ يُكَفَر بعينه مباشرةً، بل لَا بُدَّ مِنْ النظر في اجتماع الشروط وانتفاء الموانع.

☜ **ولذا نقول:** إن الحُكم عَلَى الأعيان وظيفة العُلماء؛ فهذا هو الأصل الأول الكبير الذي يتميز به أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة عن أهل البدع بأنواعهم.

وتقدم معنا: أَنَ الإيمان قولٌ وعملٌ ونية، وهذا قد أجمع عليه علماء أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على مر الأزمان من صحابة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شيوخنا اليوم، أجمعوا على أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد.

- **والقول**: منه مَا لَا بُدَّ منه للإيمان؛ فلا ينعقد الإيمان إلَّا به، وَهُوَ النطق بالشهادتين، ومنه مَا هو من الإيمان كالذِكر، والدعاء، وقراءة الْقُرْآنِ.

والعمل: هو عمل القلوب وعمل الجوارح؛ فكلها من الإيمان بنص الكتاب والسُنَة وإجماع سلف الأمة.

والاعتقاد: هو التصديق الجازم ورأس ذلك أركان الإيمان الستة.

هذا مَا أجمع عليه سلف الأمة وعلماء أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على مر الأزمان، والعمل عمل الجوارح أؤكد أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة جميعًا يرون أنه من الإيمان، وأن الذين لا يرون العمل من الإيمان أصلًا هم المُرجئة.

وإني لأحذر طلاب العِلم في كل بِقاع الدنيا من تسلل الإرجاء إلى كلامهم وهم لا يعلمون؛ كقول بعضهم: إنَّا لا نُكفِر أحدًا بعينه مهما فعل ولكن نقول: فعل كفرًا، قال كفرًا، وهذا ليس من عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بل أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يرون أن مَن فعل الكفر أَوْ قال الكفر واجتمعت فيه الشروط وانتفت فيه الموانع يُكفَر بعينه، ولكنهم لا يعتدون في التكفير، ولا يجرؤ إنسانٌ ليس من أهل التكفير على التكفير، فالقول: إنَّا لا نُكفِر أحدًا مهما فعل؛ هذا من الإرجاء، وكذلك كقول بعضهم: إن عمل الجوارح ليس من الإيمان لا يدخل في الإيمان أصلًا؛ فإن هذا ليس من أقوال أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أبدًا وإنما هو من الإرجاء.

والإرجاء خطير يا إخوة، ورد في الحَديْث أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا يُرِدُونَ عليَّ الحوضَ» أي: يُذادون عن الحوض، «وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» وهذا وعيد، مَن هُم؟ قال: «الْمُرْجِئَةُ وَالقَدَرِيَّةُ» وهذا الحَديْث قد قواه الشيخ ناصر الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة بعد أن كان ضعفه رجع رَحِمَهُ اللَّهُ وصححه وذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

إذًا أمر الإرجاء يا إخوة ليس سهلًا يجب أن نحذر منه حذرًا شديدًا.

وتقدم معنا: أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وهذا هو الأصل الثاني من الأصول الكِبار التي يتميز بها أهل السُنَة عَنْ أهل البدع.

وتقدم معنا: أن المؤمن في إيمانه لَا بُدَّ أن يكون على السُنَة اتباعًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموافقةً لأهل السُنَة في أقوالهم وتفصيل عقيدتهم ومخالفةً لأقوال أهل البدع؛ هذا الأصل الثالث.

وتقدم معنا: أن من السُنَة أن تُقدِم أبا بكر الصديق رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، ثم عُمَر رَضْيَ اللهُ عَنْهُ في الفضيلة والخِلافة، وأن تقدم عثمان رَضْيَ اللهُ عَنْهُ بعد عُمَر في الخلافة بالإجماع وفي الفضيلة عند أكثر السلف وَهُوَ الصواب، ثم علي رَضْيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.

☜ **فعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة وهذه احفظوها لأن بعض الناس الآن أصبحوا يخلطون:** (سلامة الصدر لصحابة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتقاد فضلهم وأن الله قد رضي عنهم، وأن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات وَهُوَ راضٍ عنهم، والإمساك عما وقع من آحادهم فلا يُذكَرون بسوء حتى مَا وقع مِنْ زِنا، من سرقة؛ هذا يُمسَك عنه، والإمساك عما شجر بينهم، فلا يُذكَرون إلَّا بخير، وأَنَّهُم رضوان الله عليهم يتفاضلون، هم لهم فضيلة يشتركون فيها: وَهِيَ صُحبة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يتفاضلون، وهذا التفاضل يستلزم كمالًا ولا يستلزم نقصًا.

✓ **<u>هذه قضية مهمة يا إخوة:</u>** هذا التفاضل يستلزم كمالًا للفاضل، ولا يستلزم نقصًا للمفضول، مثل: تفاضل آيات القرآن، القرآن يتفاضل، ولكن هذا يستلزم فضل الفاضل الأفضل ولا يستلزم نقصًا، يعني أعظم سورة في القرآن سورة الفاتحة، هل يستلزم هذا نقصًا في بقية السور؟ لا، أعظم آية في القرآن آية الكرسي، هل يستلزم هذا نقصًا في بقية الآيات؟ لا.

ومثل تفاضل الأنبياء: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الأنبياء يتفاضلون فأفضلهم أولو العزم الخمسة، وأفضل أولو العزم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل يعني هذا نقصًا في بقية الأنبياء؟ لا، ولكن يعني كمالًا في المُفضَلين؛ هَذِه قضيةٌ يجب أن نفهمها، وأفضل الصحابة هم الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم؛ هَذِه عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

ثم نواصل مَا ذكره الإمام سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ ونُعلِق عليه فيتفضل الابن يوسف يقرأ لنا.

(المتن)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ خير خلق الله وعلىٰ آله وصحبه ومَن والاه، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: يا شعيب بن حرب! لا ينفعك مَا كتبت لك حتىٰ لا تشهد لأحدٍ بجنةٍ ولا نار إلَّا للعشرة الذين شهد لهم رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلهم من قريش.

(الشرح)

نعم، هذا أصلٌ من أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؛ وذلك أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يقطعون أن المُوحِد الذي مات على التوحيد لَا بُدَّ أن يدخل الجنة ابتداء أَوْ انتهاءً، وهذا أصلٌ عام: المُوحِد الذي مات على التوحيد لَا بُدَّ أن يدخل الجنة إما أن يدخلها ابتداءً ولا يدخل النار أصلًا، وإما أن يدخل النار بسبب ذنوبه ثم يخرج من النار فيدخل الجنة.

لكن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لا يقطعون لأحدٍ بعينه من أهل القبلة من الأمة بجنةٍ أَوْ نار، لا يقطعون لأحد بأن الله سيرحمه ويُدخِله الجنة وإن كان ظاهره حسنًا، لو مَا عرفوا عليه إلَّا الصلاح ومات لا يقطعون لَهُ ويجزمون أن الله سيرحمه ويُدخِله الجنة، كما لا يقطعون لأحدٍ بأن الله سيعذبه ويُدخِله النار ولو كان عاصيًا، لماذا؟ لأن الأعمال بالخواتيم، ولا يُدرى مَا خُتِم للإنسان به، لا يعلم ذلك إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولأن الذنوب قد تكون خفيةً فيستحق بها الإنسان النار، قد يُظهِر الإنسان أمام الناس الصلاح لكنه إذا خلا بمحارم الله انتهكها؛ ولأن العبد قد يُسِر طاعةً بينه وبين الله يرضى بها الله عنه، قد يكون الإنسان عنده معاصي لكنه يُسِر طاعة بينه وبين ربه فيرضى الله عَزَّ وَجَلَّ عنه.

فلا يُقطَع لأحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا بنار، لكن يُرجى للمُحسِن، فالمُحسِن يُرجى لَهُ الجنة، ويُخَاف على المُسيء، فالمُسيء يُخاف عليه العذاب، وإذا أثنى المؤمنون على مسلمٍ عند وفاته فإنه يَعظُم الرجاء، يعني نحن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة إذا رأينا مسلمًا صالحًا رجونا لَهُ رحمة الله لكن لا نقطع لَهُ بجنة، فإذا مات فأثنى عليه الناس عَظُم رجاؤنا لَهُ، وإذا رأينا شخصًا يظهر عليه عدم الصلاح مع إسلامه خِفنا عليه العذاب، فإذا مات فأثنى عليه الناس بسوء أَوْ ذكروه بسوء اشتد خوفنا عليه؛ وذلك لما جاء أنه مُرَّ بجنازةٍ في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ».

وفي رواية قال: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ».

ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ».

وفي روايةٍ قال: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ».

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ» وهذا الحَدِيْث في الصحيحين.

وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يوشك أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» يعني: وأنتم في الدنيا يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ» رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

هنا يا إخوة! النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يُوشِك» يعني: مَا نقطع، يوشك، يقترب أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار في الدنيا وأنتم في الدنيا، كيف؟ قال: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ» فإذا مات المسلم فأثنى عليه المؤمنون ثناءً حسنًا عَظُم الرجاء بأنه من أهل الجنة، «وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ» فإذا مات المسلم وذُكِر بسوء فإنه يَعظُم الخوف عليه أنه يكون من أهل النار.

✓ **<u>إذًا أُلخص هذه القضية لأنها مهمة:</u>** لا نقطع لمسلمٍ مات بجنةٍ ولا بنار، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، وإذا مات فعَظُم ثناء الناس عليه عَظُم رجاؤنا لَهُ، وإذا مات فأثنى الناس عليه بشر وذكروه بشر عَظُم خوفنا عليه؛ وهذا أصلٌ من أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

ويُستثنى من هذا الأصل مَن نص النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم بالجنة وشهد لهم بالجنة؛ فإنَّا نشهد لهم بالجنة بأعيانهم، ومنهم: العشرة المبشرون بالجنة الذين جمعهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثٍ واحد فقال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ» يعني: سعيد بن زيد، «وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ».

فهؤلاء عشرة جمعهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحَدِيْث، وقد روى هذا الحَدِيْث الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي في الكبرى، وصححه الألباني.

وليست الشهادة بالجنة محصورةً في العشرة، بل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِد لكثيرين من الصحابة، الذين ثبتت الروايات لهم بالشهادة واحدٌ وأربعون صحابيًا منهم هؤلاء العشرة، ومنهم عُكاشة بن مُحصِن، ومنهم بلال بن رباح، ومنهم الحارث بن سُراقة، ومنهم جعفر بن أبي طالب، ومنهم المرأة التي كانت تُصرَع فصبرت ولها الجنة.

فالشاهد يا إخوة: ليست الشهادة بالجنة محصورةً في العشرة، لكن هؤلاء العشرة ذُكِروا معًا في حديثٍ واحد، لكن كل مَن ثبت عندنا الحَدِيْث بالشهادة لَهُ بالجنة شَهِدنا لَهُ بالجنة بعينه وقطعنا لَهُ بالجنة بعينه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: يا شعيب بن حرب! لا ينفعك مَا كتبت لك حتىٰ ترىٰ المسح علىٰ الخفين دون خَلْعِهما أعدل عندك من غسل قدميك.

(الشرح)

هَذِه يا إخوة مسألة فقهية، لكن نجد أئمتنا يذكرونها في كتب العقيدة، لماذا؟ لأن هَذِه المسألة لم يخالف فيها إلَّا أهل البدع؛ فكانت مميزَةً بين أهل السُنَة وبين أهل البدع.

(يا شعيب بن حرب! لا ينفعك مَا كتبت لك حتىٰ ترىٰ المسح علىٰ الخفين) والخُفان معروفان: مِن جلدٍ تُلبسان على الرجلين.

(دون خَلْعِهما) يعني: إذا كنت لابسًا للخفين تمسح عليهما.

(أعدل) أي: أثبت، **(عندك من غسل قدميك)** لأن الذي ثبت في النصوص قطعًا أن الرجلين تُغسلان إذا كانتا مكشوفتين، وتُمسحان إذا كانتا في الخُفين، فأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على هذا، وقد تواتر عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسح على الخُفين، وقد روى المسح على الخفين عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أربعين صحابيًا، وأجمع أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على القول بمسح الخُفين.

إذًا هَذِه المسألة وإن كانت فقهية إلَّا أنها فارقة بين أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة وأهل البِدع، وبهذا تعرفون يا إخوة أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أئمة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يهتمون بما يميز أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة عَنْ أهل البدع، وأن هذا الأصل يجب أن نحافظ عليه حماية للسُنة وحِماية لأهل السُنَة: التمييز بين أهل السُنَة وأهل البدعة.

✓ **ولكن ننبه هنا أيها الإخوة:** أن هذا لا يعني أن مَن قال بمسح الخُفين من أهل السُنَة، فإن بعض أهل البدع قالوا بالمسح على الخُفين، ولكن يعني: أن مَن لا يقول بالمسح على الخُفين فهو من أهل البدع.

يعني لو قرأنا في كتاب وجدنا عالمًا يقرر المسح على الخفين، هل نقول: إنه من أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة مباشرة؟ الجواب: لا؛ لأن بعض أهل البدع يقولون بالمسح على الخُفين، لكن لو قرأنا في كتاب فوجدنا أنه يقرر أنه لا يُمسَح على الخُفين؟ أبدًا عرفنا أنه من أهل البدع.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: يا شعيب بن حرب ولا ينفعك مَا كتبت حتىٰ يكون اخفاء بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة أفضل عندك من أن تجهر بها.

(الشرح)

نعم هَذِه أيضًا مسألة فقهية، وقد اتفق العلماء على أَن: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ؛ آية من سورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

كما اتفقوا على أن بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ لا تُكتَب قبل سورة التوبة.

ثم اختلفوا هل بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ آية من كل سورة أَوْ لا؟ والصحيح أنها آية مستقلة، مَا الدليل على أنها آية مستقلة؟ أن الصحابة كتبوها في المصحف، وما كان الصحابة يكتبون في المصحف إلَّا مَا كان من القرآن، ولكنها آيةٌ مستقلة.

من هنا اختلف العلماء في البسملة في الصلاة، حُكم البسملة في الصلاة؟ فذهب بعض العلماء إلى أن البسملة لا تُقرأ في الصلاة وإنما تُقرأ خارج الصلاة وهذا المشهور عند المالكية، وذهب جمهور العلماء إلى أن البسملة تُقرأ في الصلاة؛ وهذا الصواب الراجح.

طيب إذا كانت الصلاة سرية؟ فباتفاق القائلين بسُنية قراءتها بالصلاة تكون سريةً، لكن بقي إذا كانت الصلاة جهرية؟ في صلاة الفجر؟ في صلاة المغرب؟ في صلاة العشاء؟ في صلاة التراويح؟ في صلاة الجمعة؟ هل السُنَة أن يجهر بـبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ أَوْ يُسَرَ بها؟

❖ هَذِه مسألةٌ خلافية بين أهل العلم:

✓ فذهب الشافعية إلى أنه يُسَن الجهر بها، يعني عند الشافعية يُسَن فإذا صليت المغرب وكبرت وقرأت دعاء الاستفتاح أن تقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١، ٢].

✓ وذهب أكثر الفقهاء إلى أنه يُسَن الإسرار بها.

✓ وذهب بعض الفقهاء واختاره ابن القيم إلى أنه يُسَن أن يُجهَر بها أحيانًا، ويُسَر بها أحيانًا.

والراجح أن السُنَة أن يُسَر بها ولا يُجهَر بها، لكن لا بأس في أن يَجهر بها الإمام أحيانًا لمصلحة؛ كأن يُعَلِم الناس أنها تُقرأ، أَوْ لتأليف قلوب الناس، يعني لو أنك ذهب تصلي بناس وهم من الشافعية؛ فلا بأس أن تجهر بـ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ من أجل أن تؤلِف قلوبهم؛ كما كان عُمَر رَضْيَ اللهُ عَنْهُ يجهر بدعاء الاستفتاح ليُعَلِم الناس هذا الدعاء، مع أن السُنَة في دعاء الاستفتاح الإسرار.

قال أنس: (إن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يفتتحون الصلاة بـ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ) متفقٌ عليه، طبعًا كانوا يفتتحون الصلاة؛ إذًا الذي يُسمَع؛ لأَنَ أنس يحكي؛ إذًا في الصلاة الجهرية.

وفي روايةٍ عند مسلم قال: (صليت مع رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ).

وفي روايةٍ لأحمد: (فكانوا لا يجهرون بـ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ).

فدلتنا هَذِه الروايات يا إخوة أَنَهُم كانوا لا يجهرون ولكن كانوا يقرؤونها سِرًا.

☜ إذا علمنا هذا: فهل هَذِه المسألة من الأصول؟ وهل ذِكر سفيان رَحِمَهُ اللهُ لها هنا صواب؟

والجواب: أن هَذِه ليست من الأصول، وذِكر سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ لها ليس صوابًا أعني هنا، لماذا؟ لأَنَهَا ليست من المسائل التي يتميز بها أهل السُنَّة وَالجَمَاعَة عَنْ أهل البدع، بل وقع فيها خِلافٌ بين أهل السُنَّة وَالجَمَاعَة.

وكان شيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن السُنَة الإسرار بها، إلَّا إذا جهر بها الإمام أحيانًا ليُعَلِم الناس فهذا حسن، وكان يقول: (لا ينبغي النزاع فيها، ينبغي أن يكون الأَمْر فيها خفيفًا) يعني ليست من مسائل الأصول التي يُختَلف فيها.

وكان الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ من أحسن مَن تكلم عَنْ هَذِه المسألة في (أصل صِفة صلاة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان بعدما قرر أن السُنَة الإسرار، قال: (ومع هذا فالصواب أن مَا لا يُجهَر به قد يُشرَع الجهر به لمصلحةٍ راجحة، فيُشرَع للإمام أحيانًا لِمثل تعليم المأمومين، ويسوغ للمصلين أن يجهروا أحيانًا ببعض الكلمات اليسيرة).

يعني يقول الألباني مع أنه يقول: السُنَة الإسرار، يقول: يُشرَع للإمام أحيانًا أن يقول: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ جهرًا، لماذا؟ ليُعَلِم الناس حتى يقرؤوها، ويجوز للمأموم أنه أحيانًا إذا لم يشوش على الناس يقول مثلًا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ أحيانًا.

قال: (ويسوغ أيضًا أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب واجتماع الكلمة) هذا من كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ؛ يسوغ أحيانًا للإنسان أن يترك مَا يراه الأفضل من أجل تأليف القلوب، ومن أجل جمع الكلمة.

إذًا يا إخوة! ليست المسألة من مسائل الأصول، ولا من التي فيها سُنة وبدعة، أهل سُنة وأهل بدعة، ولذلك فذِكر سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ لها هنا ليس صوابًا فإنها ليست من مسائل الأصول.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: يا شعيب بن حرب لا ينفعك الذي كتبت حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره كُلٌ من عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

(الشرح)

هذا أصلٌ من الأصول الكبار التي يتميز بها أهل السُّنَّة وَالجَمَاعَة عَنْ أهل البدع، وَهُوَ رُكنٌ من أركان الإيمان: **(بالقدر خيره وشره وحلوه ومره كُلٌ من عند الله عَزَّ وَجَلَّ)** فلا يجري شيءٌ في الكون إلَّا بقدر الله وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❖ والقدر يا إخوة لَهُ أربع مراتب مَن عرفها اطمأن قلبه واندفعت عنه الشبهات، إذا عرفت مراتب القدر ترتاح:

۞ المرتبة الأُوْلَى: العِلم؛ وذلك أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكل شيءٍ عليم، لا يتجدد لَهُ عِلمٌ، ولا يلحقه نسيان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عَلِم مَا كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعَلِم مَا الخلق عاملون،

وعَلِم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والرزق والآجال والأحوال بعلمه الأزلي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ إذًا الله عَلِم في الأزل مَا كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فأحاط بكل شيءٍ عِلمًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المرتبة الثانية: الكتابة؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ خلق القلم وأمره أن يكتب مَا هو كائنٌ في اللوح المحفوظ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]؛ هَذِه الكتابة العامة.

ثم إذا خُلِق الجنين وقبل نفخ الروح فيه يُرسِل الله إليه مَلكًا ويأمره بأن يكتب رزقه وأجله وعمله وأن يكتب شقيًا أَوْ سعيدا؛ وهذه كتابة خاصة كانت في اللوح المحفوظ، ثم تُكتَب والجنين في بطن أمه قبل أن تُنفَخ فيه الروح؛ فهذه كتابةٌ قدريةٌ خاصة.

المرتبة الثالثة: المشيئة؛ فلله عَزَّ وَجَلَّ مشيئةٌ نافذة، وقدرةٌ شاملة، فما في الكون حركةٌ أَوْ سكونٌ إلَّا بمشيئة ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما شاء كان وما لم يشأ يكن، لا يكون في مُلكه إلَّا مَا يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما أراد سبحانه من عباده شرعا إلَّا الخير كما سيأتي إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، فالله أراد كونًا كل مَا وقع، وأما مَا أراده من عباده شرعًا فهو الخير كما سيأتي إن شاء اللَّهِ.

إذا المرتبة الثالثة: مشيئة ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ هَذِه المشيئة النافذة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: الخلق؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ خالق كل شيء، فالله خالق العباد وخالق أفعالهم، والعباد فاعلون لأفعالهم حقيقةً.

يعني يا إخوة: الله عَزَّ وَجَلَّ خلق يدي وخلق لساني، وخلق حركة يدي وخلق حركة لساني، وأنا فاعلٌ للحركة إن شئت حركتها وإن شئت رفعتها وإن شئت وضعتها، أنا متكلم إن شئت تكلمت وإن شئت سكت، فعلت هذا بنفسي، فالله خلق العباد وخلق أفعالهم، والعباد فاعلون لأفعالهم حقيقةً، وهذا سيأتي أيضًا بعد قليل في مسألة مشيئة الله ومشيئة العبد.

إذًا هَذِه هِيَ المراتب الأربعة.

إذًا يا إخوة: المكتوب في اللوح المحفوظ هو المعلوم، والواقع هو المكتوب، يعني المكتوب في اللوح المحفوظ هو الذي علمه الله عَزَّ وَجَلَّ، والواقع هو المكتوب، ربُنا عَلِم الأشياء قبل وقوعها ونحن نعلم الشيء بعد وقوعه، يعني ربُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِم أني سآتي إلى هَذِه الدولة وأني سأجلس معكم في هذا

الوقت بل في هَذِه الثانية وأني سأقول هَذِه الكلمة الآن، عَلِم ذلك في الأزل وكتبه في اللوح المحفوظ ووقع كما كتب، لكن نحن البشر مَا نعرف القدر حتى يقع، ولذلك سيأتينا أنه ليس لنا أن نحتج بالقدر، لماذا؟ لأن علمنا بالقدر بعد وقوع الأَمْر، أما قبل الأَمْر مَا ندري، مَا ندري هل سيقع كذا أَوْ لا يقع، أنا إلى أن ركبت الطائرة وأنا مَا أدري هل أذهب إلى ألمانيا أَوْ لا، لكن الأَمْر عند ربنا معلوم.

إذًا هذا يُريح يا إخوة: المكتوب في اللوح المحفوظ هو المعلوم، والمعلوم المكتوب هو الواقع، وعِلمنا إنَّمَا يكون بعد الوقوع، ولذلك نحن مُطَالبون بالعمل فإذا وقع الأَمْر عَلِمنا أننا نستطيع رده؛ كما سيأتي إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا الأصل العظيم دلت عليه نصوص الكتاب والسُنَة، وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالمَوْتِ، وَبِالبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ» رواه الترمذي، وصححه الألباني.

فهذان الحديثان أصلان عظيمان في هذا الباب: باب الإيمان بالقدر؛ أن يؤمن القدر خيره وشره من الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يؤمن بالقدر حتى يعلم أن مَا أصابه، ليس مَا سيصيبه، أن مَا أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ وهذا أصل الإيمان بالقدر.

ولذلك الإنسان يفعل الأسباب فإذا وقع الأَمْر عَلِم أنه لن يكون إلَّا هذا مهما فعل، وإذا لم يصبه مَا يريد عَلِم أنه لو اجتمعت الأمة كلها على أن تعطيه هذا مَا استطاعت، وهذا هو الإيمان بالقدر.

☜ **قبل أن نقف للاستراحة أذكر وسنعود للقدرية: أن الذين خالفوا في هذا الباب جناحان متقابلان: القدرية والجبرية.**

القدرية قالوا: إنه لا قَدر، وأن الأَمْر أُنف؛ سيأتي بيان هذا، وأن الله لم يعلم بما نفعل حتى فعلنا والعياذ بالله، نعوذ بالله.

والجبرية يقولون: الإنسان مجبور ولا اختيار لَهُ مثلمَا يقولون الآن: مُسَير مَا لَهُ خيار، مثل القطار على السكة الحديد.

وكِلا القولين من أبطل الباطل، وفيه سوء ظَنٍ بالله؛ لأن القدرية يزعمون والعياذ بالله أن الله لم يعلم بأفعال العباد حتى وقعت أعوذ بالله، والجبرية يزعمون أن الله ظالم أعوذ بالله، نعوذ بالله من هَذِه المقولة؛ لأنهم يرون أن الله أجبر العبد ومع ذلك يأمره وينهاه، ويعذبه ويُثيبه.

كما قال القائل:

ألقـــاه في الـــيَم مكتوفًـــا وقـــال لَـــهُ إيـــاك إيـــاك أن تبتـــل بالمـــاء

يقولون: الله عَزَّ وَجَلَّ كأنه قيد العبد ورماه في الماء وقال لَهُ: إياك أن تبتل بالماء، إذا ابتليت بالماء سأعاقبك، وهذا لا شك أنه ظُلمٌ لا يمكن أن يكون من الله عَزَّ وَجَلَّ.

☜ **ومن لطيف الأَمْر أن العلماء قالوا**: إن القدرية والجبرية لا يحتاجون إلى أن تذكر لهم الأدلة؛ لأن قولهم باطل بالواقع هم سيفرون منه، فإذا جاءك القدري وقال لك: لا قدر والأمر يعني أُنف، الإنسان يفعل أَوْ يخلق فعله، فإنك تقول لَهُ: هل الإنسان قادر على أن يفعل كل شيء؟ قل لَهُ: طِر الآن، ألست قادرًا على فعلك؟ قادرًا على أن تخلق فعلك وليس الأَمْر بالقدر؟ طيب طِر الآن، فهو إما أن يطير ويُلقي بنفسه ونموت ونرتاح، وإما أَنْ لا يستطيع، فنقول له: إذًا الأَمْر بقدر اللَّهِ.

والذي يأتيك ويقول: الإنسان مجبور ومُسَير؛ فاصفعه على وجهه، وإذا قال لك: آلمتني لم تضربني؟ قل: أنا مجبور، وقل لَهُ: إذا رأيت سيارةً مسرعةً وأنت في طريقها، هل تقف وتقول: الأَمْر قدر؟ إن أراد الله أن أموت سأموت، وإن لم يُرِد الله أن أموت سأحيا، أَوْ أنك مباشرةً ستقفز عَنْ طريق السيارة؟ ولذلك ضعه في طريق السيارة؛ ستجد أنه مباشرةً سيقفز من أمام السيارة.

ولذلك يا إخوة: هذا الانحراف الذي وقع لهؤلاء إنَّمَا هو من تسويل إبليس، وإلا فالمُشَاهدة قبل الأدلة تدل على بُطلان هذا الأَمْر، والصواب الوسط الذي عليه أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة كما سنبينه إن شاء الله في بداية الدرس بعد أن نرجع من الاستراحة إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

بارك اللهِ فيكم جميعًا، وجزاكم اللهِ خيرًا.

واللهُ أَعْلَمُ وصلى الله عَلَى نَبِيِّنَا وسلم

المجلس (٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فمرحبًا بطلّابِ الْعِلْمِ، وأسأل الله عَزَّ وجَلَّ أن يفتح عليّ وعليكم بخير، وأن يجعلني وإياكم من عبادِهِ العالمين العاملين، نواصل شرحنا لعقيدة سفيان رحمه الله عَزَّ وجَلَّ وهِيَ كما تقدم مرارًا وتكرارًا عقيدة أَهْلِ السُنَة وَالْجَمَاعَة، وفيها الأصول الكبار التي يتميز بها أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة عَنْ أهل الأهواء والبدع، وقد تقدم معنا في آخر المجلس الماضي بيان الإيمان بالقدر، **وأنَّ القدر لَهُ مراتبُ أَرْبَع:**

- ✓ المرتبة الأُوْلَىٰ: علم الله عز وجل المحيط، فالله علم كل شيء في الأزل.
- ✓ والمرتبة الثَّانِيَةُ: الكتابة فكتب الله عَزَّ وجَلَّ مَا عَلم في اللوح المحفوظ.
- ✓ والمرتبة الثالثة: المشيئة فشاء الله عَزَّ وجَلَّ مَا يكون فما شاء سبحانه كَانَ، وما لم يشأ لم يَكُنْ.
- ✓ والمرتبة الرَّابِعَةُ: الخلق فالله عَزَّ وجَلَّ خالقُ كل شيء، وهذا قد تقدم.

وعندنا الآن مَسْأَلَة؛ وهِيَ هل للعبد مشيئة، هل لي ولك مشيئة واختيار؟ والجواب: لا شك أن الْعَبْدُ لَهُ مشيئة، وله اِخْتِيَار، يَدُل على ذلك أمور مِنْهَا: أن الله عَزَّ وجَلَّ قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨].

فدلَّ ذلك على أن للعبد مشيئة، ومنها قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، فدل ذلك على أن الإنسان حتى في أفعاله العادية لَهُ مشيئة، وكذلك يَدُل عَلَيْهِ: أنّ الله عَزَّ وجَلَّ أمرنا ونهانا، ولو لم يكن لنا اختيار ومشيئة لَمَا كان من الحكمة أن نُؤمر ونُنهى، لو كان الأَمْر أنه ليس لنا اختيار لكنا نسير في طريقنا، لا نحتاج أن نُؤمر، ولا أن نُنهى فَلَمَّا أمرنا الله ونهانا عَلمنا أن لنا مشيئةً واختيارًا.

كَذَلِكَ يدل على هذا: أن الله أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فلو لم يكن للعباد مشيئة لما احتيج إلى بعث الرسل، لكنّ الله بعث الرسل مبشرين ومنذرين، ويدل لذلك الواقع، فإن كل واحدٍ مِنَا يدرك من نفسه أن لَهُ إرادةً، فَإِذَا أراد أن يتكلم تكلم، وإذا أراد أن يسكت سكت، إذا أراد أن يأخذ ذات الْيَمِيْنِ، أخذ ذات اليمين، وإذا أراد أن يأخذ ذات الْشِّمَال، أخذ ذات الْشِّمَال، فهذا واقعٌ مشاهد، ولكنَّ مشيئة العبد تابعةٌ لمشيئة الله عَزَّ وجَلَّ لقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

ومشيئة الله كما قلنا هِيَ لِما كتبهُ وعلمهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فالله علمَ في الأزل منك أنك الآن سترفع أُصبعكَ، فشاء لك أن ترفع أصبعك، وشئت أنت أن ترفعه فرفعته، مَا رُفع منك مَا جاء شيء ورفع الأصبع **"أَنْتَ"**، طيب، لَمَّا رفعت أصبعي علمت أنا يقينًا أنّ الله شاء الأربعة أصبعي، وقد علم الله في الأزل إني سأفعلُ هذا، فهذا الارتباط بين مشيئة الْعَبْدُ، ومشيئة الله عَزَّ وجَلَّ مشيئة الله مبنيةٌ على عِلمه، ومشيئة العبد مربوطةٌ بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِين، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ رَسُول الله، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن والاه.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يَا شُعَيْبُ بْنَ حَرْبٍ وَاللهِ مَا قَالَتِ الْقَدَرِيَّةُ مَا قَالَ اللهُ، وَلَا مَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَلَا مَا قَالَ النَّبِيُّونَ، وَلَا مَا قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَلَا مَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ، وَلَا مَا قَالَ أَخُوهُمْ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ.

(الشَّرْحُ)

القدرية أيها الإِخْوَةِ هم الذين ينفون القدر، ويقولون: أَنَّهُ لا قدر، والأمر أُنُف يعني مستأنف فهم يزعمون قبّحهمُ الله، أن الله عَزَّ وجَلَّ لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، وهذه الفرقة أخبر عنها النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ باسمها، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «القدرية مجوس هَذِه الأُمَّة إن مِرضوا، فلا تعودوهم، وإن ماتوا، فلا تشهدوهم»، رواه أبو دَاوُد وَصَحَّحَهُ السيوطي وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ، **"القدرية"**، فسمّاهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ باسمهم: «مجوس هَذِه الأُمَّة إن مِرضوا، فلا تعودوهم، وإن ماتوا، فلا تشهدوهم»، وبدعة القدرية هَذِه ظهرت في أواخر زمن الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم.

قال يحيى بن يعمر، خرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري فلقينا ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقلنا يا أبا عبد الرحمن قد ظهر عندنا أناسٌ يزعمون أن لا قدر، وأن الأَمْر أُنُف، فقال ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن لقيتهم فاعلمهم إني منهم بريء وهم مني بُرءاء، والذي يحلف به ابن عُمَر لو أن أحدهم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا، ثم لم يؤمن بالقدر لم يُقبل مِنْهُ، ثم ذكر حديث عُمَر رَضْيَ اللهُ عَنْهُ المعروف بحديث جِبْرِيْلُ وَفِيْهِ: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»، فالقدرية ظهروا في أوائل عصر الإِسْلَام، في أواخر زمن صحابة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

والحظُ هنا رعاك الله، مَاذَا قال سفيان؟ قال: " وَاللهِ مَا قَالَتِ الْقَدَرِيَّةُ مَا قَالَ اللهُ، وَلَا مَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَلَا مَا قَالَ النَّبِيُّونَ، وَلَا مَا قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَلَا مَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ، وَلَا مَا قَالَ أَخُوهُمْ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ"، يعني يا إخوة مَا قالته القدرية لا قالهُ الأخيار قبلهم، ولا قاله الأشرار قبَلهم لا قاله الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ولا قاله الأخيار، ولا قالهُ الأشرار، حتى إبليس إمامُ الأشرار لم يجرؤ على قول القدرية، وإن كان هو الذي وسوس لَهُ؛ لأن القدرية قَالُوا: **"إنّ الله لا يشاء ولا يعلم سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ"**، وهذا سيأتي بيان أَنَّهُ يخالف مَا قاله الله، بل وما قاله أيضًا الأخيارُ من عباد الله، بل وما قاله الأشرار من خلق الله إلَّا هَذِه الفرقة الخبيثة القدرية، فقالت هذا القول الخبيث الذي لم يُسبقوا إليه وهُوَ كُفرٌ بالله عَزَّ وجَلَّ وتكذيبٌ لصريح القرآن.

الطالب: أحسن الله إليكم، حَدِيْثِ: «القدرية مجوس هَذِه الأُمَّة»، إلى آخره، رَوَاهُ أبو دَاوُد؟

الشيخ: نَعَمْ، وَصَحَّحَهُ السيوطي وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(المتن)

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(الشَّرْحُ)

هنا يُبَيّن الإمام سفيان رحمه الله عَزَّ وجَلَّ أنّ القدرية قَالَتْ خلاف قول الله عَزَّ وجَلَّ فاللهُ عَزَّ وجَلَّ قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، والقدرية يَقُولُون: لا قدر، والله عَزَّ وجَلَّ يَقُوْل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، والقدرية يَقُولُون: إنَّهُم يقتتلون بلا مشيئة الله، ويفعلون مَا لا يريدهُ الله إرادةً كونية، ومن هذا أيضًا مَا ذكره سفيان هنا فالله عَزَّ وجَلَّ قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ

مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، يعني أفرأيت من اتّخذ معبودهُ هواهُ، فهو يعبدُ هواه، ويعبد بهواه، يعبدُ غير الله بهواه، ويعبد هواهُ؛ فالحلال مَا أحلّهُ هواهُ مَا أحبّهُ، والحرام مَا لا يحبهُ ومعبودهُ بالهوى لا بالهدى، وأضلّهُ الله، أي: خذلهُ الله فحاد عَنْ الصراط الْمُسْتَقِيمَ، وانحرف عَنْ الصراط الْمُسْتَقِيمَ: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، على علم يا إخوة هنا، أي: على مَا سبق في علم الله من أنه يضلُّ، وعلى علمٍ من هذا الضال؛ فهو ضالٌ بعلم يعلم ومع ذلك ضلَّ.

إذًا على علم انتبهوا، تتعلق بعلم الله السابق في الأزل أن الله علم أنه ضال فأضلّهُ الله على علمه السابق سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وعلى علمٍ من هذا الضال، فهو صاحب عِلْمٍ، ومع ذلك ضلَّ وَالعِيَاذُ باللهِ، ووجه الدلالة من هَذِه الآيَةِ: أنَّ الله عَزَّ وجَلَّ قال: وَأَضَلَّهُ اللَّهُ، فأضلّهُ الله عَزَّ وجَلَّ السابق أنه ضال فأضلّه وقال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾، وهؤلاء القدرية، مَاذَا يقولون؟ يَقُولُون: هو أضلَّ نفس ولم يضلّه الله، وهُوَ يهدي نَفْسِهِ، ولا يهديه الله، إذًا خالفوا مَا قال الله عَزَّ وجَلَّ، وكيف يفلحُ قومٌ يخالفون قول الله، فلو لم يكن إلَّا هذا لكفى لهم خزيًا وسوءًا، ودلالةً على سوء كلامهم.

(المتن)

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

(الشَّرْحُ)

الله عَزَّ وجَلَّ أخبر أنّ للعباد مشيئة في قوله سبحانه: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، ولكنَّ هَذِه المشيئة لا تخرجُ عَنْ مشيئة الله تعالى كما قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، فلا بد للعبد من إرادة الفعل، ولكنَّ الفعل لا يقعُ حتى يريده الله عَزَّ وجَلَّ وهؤلاء القدرية يَقُولُون: إنّ العباد يفعلون مَا لا يشاءهُ الله، والله عَزَّ وجَلَّ يَقُوْل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. فهم مَا قالوا مَا قاله الله عَزَّ وجَلَّ.

(المتن)

وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

(الشَّرْحُ)

هنا يُبَيّن سفيان رحمه الله أنّ القدرية مَا قالوا مَا قالته الملائكة، فإن الملائكة قَالَتْ: **"سُبحانكَ"**، أيُّ: ننزهك يا ربنا عَمَّا لا يليق بجلالك: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، والقدرية يَقُولُون: إنّ الله لا يعلم بأفعالُ العباد حتى يفعلوها، فلم يقولوا مَا قالته الْمَلَائِكَة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

(المتن)

وَقَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

(الشَّرْحُ)

هنا يُبَيّن سفيان رحمه الله أن القدرية مَا قالت مَا قاله الأنبياء عليهم الْسَّلَامُ، قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، مَا معنى هَذِه الآية؟ يعني مَا هو إلَّا اختبارك وابتلاؤك لعبادك، والأمر كله بيدك تضلُّ به من تشاء إضلالهُ، وهُوَ من سبق علمك بأنَّهُ لا يهتدي، وتهدي به من تشاء هِدايته، وهُوَ من سبق علمك بأنه يهتدي فمن ضلَّ ضلَّ بعدل الله، ومن اهتدىَ اهتدىَ بفضل الله، والشاهدُ؛ أنّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بيَّنَ أن الذي يضلُّ هو الله عَزَّ وجَلَّ يضلُّ من شاء بعدله، ومن يضلُّهُ الله هو من سبق علم الله بأنه يضلّهُ، وأن الله يهدي من شاء بفضله، وهُوَ من سبق في علم الله أنه يهتدي.

والقدرية يَقُولُون: إنّ الله لا يهدي، ولا يضل، وَإِنَّمَا العباد هم الذين يهدون أَنْفُسَهُمْ، وهم الذين يضلّون أَنْفُسَهُمْ.

(المتن)

وَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

(الشَّرْحُ)

نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه هَذِه المقولة العظيمة، وذلك أن الله عَزَّ وجَلَّ أرسل نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قومه بالبينات، ومكثَ فيهم زمنًا طويلًا يُبَيّن لَهُم، ويدعوهم، فتمادوا في الْبَاطِلْ، وتمادوا في إعراضهم، فقال لهم نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾، وقد أردتُ، وفعلتُ، ولكنكم قومٌ معرضون، لا ينفعكم نصحي وإن أردتُ أن أنصح لكم، وقد أردتُ إن كان الله يريدُ بعلمه السابق بحالكم وعدلِهِ في حُكمه فيكم أن يغويكم.

ووجهُ الدلالة أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بيّنَ أن الله عَزَّ وجَلَّ إذا أراد أن يغوي هؤلاء القوم بعَدِله لسابق عِلمه؛ فَإِنَهُم لن ينتفعوا بنصُحِ نوحٌ لَهُم، والقدرية يَقُولُون: إن العباد هم الذين يفعلون الهداية لأنفسهم، وهم الذين يضلّون أَنْفُسَهُمْ.

(المتن)

وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

(الشَّرْحُ)

قال شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه هذا الكلام الْعَظِيم: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، فأثبتَ شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ العبد لا يفعلُ إلَّا بمشيئة الله، والقدرية يَقُولُون: العبدُ يفعلُ بلا مشيئة الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى أيضًا شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]، يعني أحاطَ رَبُّنا بكل شيء علمًا، والقدرية يَقُولُون: إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لا يحيطُ عِلمهُ بفعل العباد، فلا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوها، فلم يقل القدرية مَا قاله شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَنَبِيُّنَا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قال: «إنَّ الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلُق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»، رواه مسلم في الْصَّحِيْح، فأثبت النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ القدر والقدرية يَقُولُون: لا قدر، إذًا القدرية مَا قالت مَا قاله أنبياء الله عليهم الْسَّلَامُ.

(المتن)

وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(الشَّرْحُ)

هنا يُبَيّن سفيان رحمه الله أنّ القدرية مَا قالت مَا قاله أهل الجَنَّة؛ وذلك أنّ أهل الجنة جعلني الله وإياكم ووالدينا، ومن نحب مِنهُم، إذا دخلوا الجنة ورأوا عظيم نعيمها، ورأوا أَنَّهُم قد نجوا من النَّار، قَالُوا: **"الْحَمْدُ لله"**، فأثنوا على الله عَزَّ وجَلَّ بمحبةٍ وتعظيم، قَالُوا: الحمد لله الذي وفّقنا للإيمان والعمل الصالح الذي أكسبنا هذا المقام الْكَرِيم، وما كنا لنهتدي ونرشد لولا أن الله وفّقنا بفضلِهِ، فقال أهل الجنة إنّ هدايتهم إلى الصراط المستقيم إنَّمَا كانت من الله عَزَّ وجَلَّ والقدرية يَقُولُون: إنَّمَا هِيَ من اكتساب الْعَبْد.

(المتن)

وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

(الشَّرْحُ)

هنا يُبَيّن سُفْيَان رحمه الله أنّ القدرية مَا قالت مَا قاله أهل النَّار؛ وذلك أنّ أهل النار إذا رأوا عذابها، وذاقوا ألمها، قالوا عياذا بالله: وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾، شقاوتنا التي سبقت في علمك، وكتبتها عَلَيْنَا، وكنا بفعلنا قومًا ضالين، فأهل النار أثبتوا أنّ الشقاوة التي كانوا فيها قد كتبها الله عَلَيْهِمْ، وسبقت في علم الله، وأَنَّهُم بِفِعلهم كانوا ضالين، وأهل القدر القدرية، نفاة القدر يَقُولُون: إنّ الله عَزَّ وجَلَّ لا يضلُّ أحدًا من عباده، وإنما هم الذين يضلّون أنفسهم فما قالوا مَا قاله أهل النَّار.

(المتن)

وَقَالَ أَخُوهُمْ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

(الشَّرْحُ)

هنا يُبَيّن سفيان رحمه الله أنّ القدرية مَا قَالَتْ مَا قالهُ إبليس؛ فإن إبليس قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، أيّ: ربي بسبب إغوائك لي بما سبق في عِلمك، فأثبت إبليس أنّ الله أغواه بما سبق في علمه سُبْحَانَهُ وتَعَالَى من كونه صاحب غواية، والقدرية يَقُولُون: إن الله عَزَّ وجَلَّ لا يهدي ولا يغوي، فما قالوا حتى مَا قاله إبليس وجرَ قولهم على قول مَا لم يقله إبليس.

وقبل أن نغادر هذا الأصل نلحظ أنّ سفيان رحمه الله قال: **"وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره"**، فمن أين جاء سفيان بهذا؟ نَقُول: أخذهُ من حديث رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ حيث قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «وبالقدرِ خيرِهِ وشره حُلوه ومُره»، رواه ابْنُ حِبَّان، وَصَحَّحَهُ الالباني، وبهذا تعرفون أن السَّلَف يحرصون على أن يأخذوا كلامهم من نصوص الكتاب والسُنَة.

(المتن)

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: يَا شُعَيْبُ لَا يَنْفَعُكَ مَا كَتَبْتَ حَتَّىٰ تَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ.

(الشَّرْحُ)

الْصَّلَاةُ من أعظم فرائض الدين، والجماعة من سنن الهدى، ولذا يرى أهل السُنَة وَالْجَمَاعَة أنّ صلاة الجماعة لا تُعطّل؛ ولذلك يرون جواز الصلاة خلف كل إمام سَوَاءً كان إمامًا برًّا أَوْ كان إمامٍ فاجرًا، سَوَاءً كان إمامًا على السُّنَة، أَوْ كان إمامًا مبتدعًا، نعم الْأَصْلُ في الإمام أن يكون برًّا سنيًّا، لكن إِذَا كَانَ إمَامُ الْصَّلَاة فاجرًا.

فهرس المجالس

المجلس (١) ٢
المجلس (٢) ٨
المجلس (٣) ١٦
المجلس (٤) ٢٥
المجلس (٥) ٤٠
المجلس (٦) ٥٥
فهرس المجالس ٦٣